

# الملك

مجلة

المجلد الخامس عشر  
الجزء السادس



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد الخامس عشر)

٥٦١

(الجزء الثامن)

في الحكمة من إنشاء وتنشئة الحكمة قدارتي  
فخرا كبيرا وما يذكركم الا اولو الألباب

المعراج  
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستنبون القول فيتنبون أحسنه  
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ه مناراً ه كنار الطريق

(مصر ٣٠ شعبان ١٣٣٠ هـ ق ٢٢ الصيف الثاني ١٢٩١ هـ ش ١٣ اغسطس ١٩١٢ م)

## \*) الخطبة الرئيسية

( في ندوة العلماء بـ « الهند » )

« لصاحب المنار »

أيها الاساتذة الكرام !

انكم تعلمون ان جميع القواعد العلمية للعلوم منتزعة من الجزئيات فالعلم بالجزئيات مقدم بالطبع فيجب أن يكون مقدماً بالوضع ، فاذا ذكرت الاجناس والفصول المقومة والمقسمة لأنواع من الحيوان والنبات والقيت على من لم ير شيئاً من أفراد تلك الانواع أو رأى قليلاً منها ثم دخل في بستان يوجد فيه أفراد من تلك الأنواع كلها اتحسب انه يستطيع أن يعرف كلا منها بهداية تلك التعريفات والقواعد العلمية؟؟

\*) تأخير لما نشر منها في الجزء الخامس ص ٣٣٦ وكان سبب تأخير هذه البقية ان تأخر حضور بقية أصول الخطبة من الهند

(المجلد الخامس عشر)

(٧١)

(المنار ج ٨)



## ٥٦٢ طريقة التعليم الطبيعية . تعلم القرآن ودراسة تفسيره ( المارج ٨ م ١٤ )

لا ! لا ! أما من يعرف أفراد تلك الأنواع فإنه لا يحتاج الا لتبنيه قليل لمعرفة ما ينشأ من الفصل والاختلاف وإذا ذكرت تلك الكلمات يتناولها فهمه بسهولة وسرعة ومفردات اللغة وأساليبها كمفردات أنواع الكائنات يشترك بعضها في الفاعلية أو المفعولية وفي الحقيقة أو المجاز وفي غير ذلك من أنواع الاتفاق فالقاعدة الموضوعية لضبط الفاعل والمفعول والحقيقة والمجاز لا يفهمها بسهولة وسرعة من لا يعرف الكثير من مفرداتها بالاستعمال . ثم إذا هو فهمها لا يسهل عليه أن يطبق مفرداتها عليها . وأما من عرفها بالاستعمال فإنه يفهمها بغاية السهولة ولا سيما إذا عرض عليه عند ذكرها كثير من الأمثلة والشواهد عليها

التعليم على هذه الطريقة هو التعليم الموافق للفطرة - فطرة الله التي خلق الناس عليها ومخالفته مخالفة للفطرة ، فالناس يتعلمون اللغات بتلقي مفرداتها بالمثل وكذلك تعرف الموجودات والكائنات بمعرفة أفرادها ، والذين وضعوا قواعد العلوم هم جماعة من أصحاب العقول الكبيرة عرفوا تلك الأشياء حق المعرفة ثم بالتأمل فيها انزعوا منها تلك القواعد ، فإذا كنا التلاميذ الصغار أن يعرفوا تلك القواعد الكلية قبل أن نعرض عليهم تلك الجزئيات نكون كأننا نكلفهم أن يكونوا رجالا علماء حكما قبل أن يشبوا وإن يتعلموا وبذلك نكون قد أرهقناهم من أمرهم عمراً

إن علماءنا المتقدمين لم يكونوا محتاجين إلى تسهيل طريقة تعليم اللغة العربية كما جئنا إليها الآن لأنها كانت مأسكة لهم ومع هذا كانت كتبهم ككتاب سيويه أقرب إلى التعليم الفطري من كتبنا لسكثرة ما كان فيها من الشواهد والأمثلة الموضحة للقواعد الكلية

ومالي أضرب الأمثلة لتعليم قنن اللغة والمنطق ولا أذكر ما هو أهم من ذلك وأعلى وهو تعلم القرآن ودراسة تفسيره وهو المقصد الأعلى والغاية الفضلى ؟ لملي إذا أنشأت أين كيف يجب علينا أن تعلم تفسير القرآن تعلمنا على الإهداء ؟ أكون قد استهدفت لقد كثير من الناس الذين يظنون أن القرآن الحكيم لا يحتاج إلى فهمه الا المجتهدون الذين يتصدون لاستنباط الأحكام الفقهية العملية في أحكام ظواهر العبادات والمعاملات القضائية التي يحتاج إليها الحكماء والمفتون . أولئك الذين يظنون غير الحق وترتد فرائضهم من ذكر القرآن ويرون أنهم يمدحهم عن فهمه وحسد الناس عنه يخدمون دينهم ويحافظون عليه

(المنار ج ٨ م ١٥) هداية القرآن ليست خاصة بالمجتهدين. انتشار الاسلام ولغته ٥٦٣

ايها السادة السكرام !

ان الله تعالى انزل القرآن هدى للناس اجمعين وان الاهداء ليس خاصا بالمجتهدين الذين يستنبطون الاحكام الصليبة الفقهية وان آيات الاحكام فيه هي أقل عدداً من سائر الآيات التي تهدي العقول والارواح ، وترقى بها الى اعلى معارج الفلاح ، وكان سلفنا في القرون الاولى يهتدون به ويحيون بحياته ولم يكونوا كلهم ولا اكثرهم مجتهدين بهذا المعنى المعروف في الاصول .

لولا هداية القرآن وسلطانه على ارواح اولئك الاخيار لما كانوا خيرة امة اخرجت للناس ولما انتشر الاسلام بفضل الاقتداء بهم فقد رُكِيَ القرآن انفسهم ورقى عقولهم حتى كانوا لا يدخلون بلادا الا ويجذبون أهلها الى الاسلام بحض القدوة ، ذلك بأنهم ما كانوا يعرفون لغة اولئك الاقوام ولا كانوا يفتحون لهم المدارس ويملمون أهدانهم دينهم ولغة دينهم ، فكيف انتشر الاسلام من اقصى الهند الى اقصى افريقية وأوربة في تلك المدة القصيرة ؟

يقول الجاهلون : ان الاسلام قد انتشر بقوة السيف ؟ ياسبحان الله ان هذا الدين بدئ برجل واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم وكان قومه مجالدونه بسيفهم طول حياته ولم يظفر بهم الظفر التام الا قبيل وفاته اعني عام فتح مكة . ثم ان اولئك الشراذم من اصحابه السكرام انتشروا في شرقي ارض الحجاز وغربها فهل كان في استطاعتهم ان يكرهوا أهل المشرق والمغرب على الاسلام وهم يقبلون منهم الجزية التي كانت أقل ما يأخذه حاكم من محكوم ثم هم يعاملونهم بالعدل والمساواة في الحقوق القضائية ويتركون لهم حرية دينهم ويسمحون لهم ان يتحاكموا الى رؤساء ملتهم في كل خصام يقع بينهم ؟؟ كلا انهم لم يكرهوا أحدا على الاسلام بحمد السيف وانما جذبوا قلوبهم وعقولهم اليهم لانهم رأوهم اعدل الناس وارحم الناس وافضلهم اخلاقا وآدابا فاقادوا بهم واحبوا ان يكونوا مثلهم بل منهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا ويقبلون على تعلم اللغة العربية لاجل ان يهتدوا بنور ذلك الكتاب العربي المبين ، الذي جعل اولئك الفقراء المستضعفين هم الائمة الوارثين ، ولهذا انتشرت اللغة العربية بانتشار الدين بسرعة غريبة قبل ان يكون لها مدارس منشأة ولا كتب مدونة

يمكن لمن يفهم اللغة العربية حق الفهم أن يهتدي بالقرآن ويعتبر بمواعظه وآدابه وان لم يقرأ شيئا من كتب الفقه فان تأثير القرآن في قلوب من يفهمونه عجيب حتى ان بعض أدباء النصارى عندنا يحصر يعجبون منه ويعترفون به وقد سمعت غير واحد



## ٥٩٤ دعوة القرآن الى الحياة الطيبة وياؤها ( المازج ٨ م ١٥ )

منهم بقل عند حضور بعض احتفالات المدارس وسباع القرآن المجيد فيها: ان لهذه القراءة تأثيراً عميقاً في النفس . هذا وهم لا يؤمنون به فبا بالكم بالمؤمنين الخالصين . اولئك الذين هم سرآة قوله تعالى « الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين قلوبهم وجيلودهم الى ذكر الله » وقوله « اما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » فهل يمكن لمن لا يفهم العربية فهما صحيحاً أن يكون من هؤلاء المؤمنين الصادقين ؟ وقال عز وجل « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأينه خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » فاعتبروا بقوله تعالى « وتلك الامثال » فانه تعالى هدانا بهذا اللؤلؤ الى ان نربأ بأنفسنا ان نكون قلوبنا أقسى من الحجارة وهكذا شأن من يخشع بالقرآن ولا يتأثر بمواعظه اذا سمع من يفهم العربية فهماً صحيحاً مثل قوله تعالى في الآيات السكرية التي اقتح بها هذا الاحتفال « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيبكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون » فانه يمكنه أن يفهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما دطانا بهذا الكتاب الحكم الا الى ما نحيابه حياة معنوية طيبة نكون بها أمة عزيزة كريمة ، وان ينقل ذهنه من ذلك الى تدبر القرآن ليهتدي به الى السنن الاجتماعية والنفسية التي بين الله تعالى فيها أسباب هذه الحياة وهي كثيرة في القرآن ، وليست مما يلحقه النسخ الذي تشترط معرفته في الاجتهاد ،

يان هذه الحياة في كتاب الله تعالى أعلى مرتبة من بيان بعض أحكام المعاملات، كأحكام الخيض والبيع والسلم والشركات ، قال تعالى « ينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده » وما سمى الله الوحي روحاً لانه ينفخ في المهتدين روح الحياة المعنوية التي يكونون فيها أئمة الخير في الدنيا وأصحاب السمادة في الآخرة . تلك الحياة التي ظهر أثرها في سلفنا فسادوا العالم كله كما اشرنا الى ذلك من قبل ، ونحن نشدها ونبحث عن اسبابها الآن

اني كنت أود لو ابني خطابي وتذكيري هذا على الآيات التي اقتح بها الاحتفال والاقاضة في الكلام على هذه الحياة ، ولكن اقترح علي مولانا الشيخ شبلي أمس أن أقول شيئاً في التعليم فلم يكن لي بد من الامتثال، واني قد اقتضت خطابي بقوله تعالى « الحمد لله الذي احيانا بعد ما أماتنا واهب النشور » للإشارة الى هذه الحياة وخطا



## (النارج ٨ م ١٥) الاستشفاء بالقرآن - انتشار اللغة العربية والاسلام ٥٦٥

منها الآن . تملون ان هذه الآية تُثلي عند الاستيقاظ من النوم ، وقد اشرت بافتتاح الخطاب بها الى ان حظنا من هذه الحياة الآن هو أننا أنشأنا نستيقظ من ذلك النوم الطويل - والنوم ضرب من الموت « الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » - فلست اعني بهذا اننا عدنا أمة حية كما كنا ، والله تعالى يحمد على كل حال موت الامم يشبه النوم ، وحياتها تشبه اليقظة ، ولا أقول أن امتنا قد استيقظت كلها من ذلك النوم الطويل ، والسبات المستغرق ، الذي مرت عليها القرون وهي فيه لا تشعر بما تسلمه الامم الحية المستيقظة من حولها ، ولا بما فعلته حوادث الايام في جسمها ، وانما استيقظ الآن بشدة قوارع تلك الحوادث طائفة من أفرادها ، وهم دعاة الإصلاح الذين ارتفع صوته في بلادها ،

أيها الاخوة الكرام !

لما مرضى ودواؤنا في الكتاب الذي أنزله الله الينا ، قال الله عز وجل « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » وكيف يرجى الشفاء ، لمن جهل الدواء ، وانما يعرف هذا الدواء بمعرفة اللغة العربية ، ثم بتلاوته وتدبره ، بقصد الاستشفاء والاهتداء به ، فاذا كان بين مسلمي العرب وبينه حجاب وهو ترك التدبر بهذا القصد ، فان بين مسلمي الهجم وبينه حجابين وهما جهل لغته ، وعدم تدبره ، وان ازالة كل من الحجابين ، من اسهل الاعمال على الفريقين ، وقد جربنا تذكير عوام العرب بمواعظ القرآن ففقت الذكري ، وكذلك تنفع غيرهم اذا رفع الحجاب ، وتوفرت الاسباب ، وأثبت السيوت من الابواب ، « وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين \* فذكر ان فقت الذكري ، سيدكر من يخشى »

انني أعتقد ايها الاخوة بالدليل ، ان تعلم اللغة العربية فرض على جميع المسلمين ، فان ما فرضه الله تعالى عليهم من تدبره والتذكر والاعتبار به ، والاهتداء بهديه ، كل ذلك يتوقف على معرفة لغته ، وقد روي هذا القول عن بعض علماء السلف ومنهم الشافعي ، وهو ما جرى عليه العمل في الصدر الاول وهو ابلغ من القول ، ولولا هذا الاعتقاد لما انتشرت اللغة العربية بانتشار الاسلام في الشام والعراق وفارس من بلاد المشرق ، ومصر وافريقية الشمالية كلها والاندلس من جهة المغرب ، وهي البلاد التي فتحها الصحابة والتابعون رضي الله عنهم ، ثم امتدت الى غيرها من بلاد الاسلام كهذه البلاد وغيرها من قبل ان تفتش المدارس لها ، ولولا فتنة العصية الجنسية التي اثارها بعض زنادقة المصم في الاسلام لاجل هدمه وازالة سلطته لكانت

## ٥٦٦ القرآن . وجوب تدبره وفهمه بتعلم لغته ( المنار ج ٨ م ١٥ )

الامة الاسلامية كلها اليوم تنطق بلسان واحد ، وتدعى الى فلاحها فتستجيب بلسان واحد ،

من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب تدبر القرآن والاهتداء به قوله تعالى « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » وقوله « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفلها ، إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم \* أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم لهم منكرون » وقوله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أي سهلناه ، لاجل ان يتذكر ويتعظ به من يتذكر فهل من متذكر ؛ وهو استفهام بمعنى الامر . وقوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » وقوله « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » وقوله تعالى « وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت » وقوله « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب » ومنها الآيات التي تبين تأثيره في قلوب المؤمنين وقد ذكرنا منها قوله تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » الآية وقوله عز وجل « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا » الآية . ومنها الآيات الكثيرة الهادية الى كونه تعالى أنزله ليعقلوه وجعله تبياناً لكل شيء . وكل ذلك لا يكون الا بفهم اللغة العربية فهما صحيحاً يؤثر في النفس . وهذه الضروب من هداية القرآن لا تقتبس الا منه وليست من المسائل الاجتهادية التي تقال بالتقليد ، وخلاصة القول اتنا لا شفاء لنا ولا حياة الا بكتاب ربنا ، وان الاهتداء به لا يكون الا باحياه لغته ، فان الترجمة ليست من كلام الله المنزل وليس لها تأثيره في النفوس ، وإحياء اللغة وسهولة تعلمها إنما يكون بما اشرنا اليه من إصلاح التعليم ، فليكن أن تساعدوا الذين يتصدون للإصلاح كهذه الندوة المباركة . وقد ضاق الوقت عن بيان اصلاح تدريس سائر العلوم الاسلامية . ثم بيان ما نحتاج اليه من العلوم الدنيوية ، وحين موعد حل الجلسة ، وقد بينا كل ذلك في الفصل الملحق بنظام مدرسة دار الدعوة والارشاد ، فليراجعه من أراد ، وأني اختم الجلسة الآن



( المارچ ١٥م ٨ ) التربية . أقسامها باعتبارات شتى ٥٦٧

## التربية

( ووجه الحاجة اليها وتقاسيمها )

« والسكلام على تربية الامم والاسلام ، والتربية الدينية والاسلام ، وتربية الارادة »

( خطبة ارتجالية أُلقيت في مدرسة العلوم السككية بعليكره )

أيها النواب الجليل ! أيها الاساتذة والوجوه الاجلاء ! والطلاب النجباء !  
شرفتوني بدعوتكم إليي الى الخطابة فيكم ، فلم أر بدءاً من اجابة دعوتكم  
والشكر لكم ، وقد اخترت أن يكون كلامي في التربية التي هي من علمكم وعملكم ،  
وان كنت في ذلك كمن ينقل النمر الى البصرة - كما يقال في المثل - ولوشئت لتكلمت  
في موضوع ليس لكم فيه علم تفصيلي كحالة المسلمين في بلادنا ، ولكن بحث التربية  
أهم ، والحاجة اليه أشد ، فرأيت أن أعرض على مسامعكم شيئاً من رأيي فيه لاني  
أشتغل به علماً وعملاً كما تشتغلون ، فان وافق رأيكم حمدت الله تعالى على اتفاقنا في  
هذا الشأن العظيم على بعد الدار ، واختلاف اللسان ، وان خالفه رجوت أن تنبهوني  
وتبينوا لي ما ترون أنه الصواب فأستفيد من علم اخواني وتجاربهم ما أنا في أشد  
الحاجة اليه ، والحقيقة بنت البحث كما يقولون

تقسم مباحث التربية الى عدة أقسام باعتبارات مختلفة ، فمن ذلك أقسامها بحسب  
الموضوع الى تربية الجسد وتربية النفس وتربية العقل ، ومنه أقسامها بحسب  
الوضع الى تربية المنزل وتربية للمدرسة ، وأقسامها بحسب المربي الى تربية الأم  
والاب للولك وتربية الاساتذین للتلاميذ ، وتربية المرء لنفسه ، وأقسامها بحسب  
المربي الى تربية الافراد وتربية الامم . وهناك أقسام أخرى أصلية أو فرعية  
كبحث التربية الدينية ونسبة المسلمين فيها الى غيرهم من أهل الملل ، وبحث تربية  
استقلال الفكر والارادة وهو من فروع تربية العقل وتربية النفس

أما وجه الحاجة الى التربية فلا أراني في حاجة الى الإفاضة فيه لأجل الاقاع  
به فان هذا قد صار عند أمثالكم من قبيل البديهيات التي لا نزاع فيها ، وإنما أذكركم



## ٥٦٨ ضعف الانسان وارتقاؤه . الشكر من اعمال الانسان ( المارج ٨م ١٥ )

بعض آيات القرآن الحكيم في ذلك للتذكير بهدايته العليا وموافقته لما يدل عليه العقل والتجارب ، ونقتضيه طبيعة الاجتماع البشري

قال الله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل اسم السم والابصار والاقدة لعلكم تشكرون » يعني ان الله تعالى خلق كل فرد من أفراد الانسان جاهلاً لا يعلم شيئاً مما يحتاج اليه لاقامة بناء حياته الشخصية والتنوعية فكان في مبدأ خلقه وأول نشأته دون سائر أنواع الحيوان التي يخلقها الله تعالى طامة بما تحتاج اليه بالفطرة متوجهة اليه بالطبع ، ولذا قال تعالى في آية أخرى « وخلق الانسان ضعيفاً » فالانسان من هذه الجهة أضعف من الحيوانات حتى ما كانت بنيتها منها أضعف من بنيتها ، ولكن الله تعالى اعطاه من المواهب والقوى ما ان استعمله فيها خلق لأجله كان أقوى المخلوقات في هذه الأرض يسخر الحيوانات القوية لمنفعته ويستخدم قوى الطبيعة في أعماله ، وبهذا كان في مجموعه خليفة لله في أرضه ، يظهر أسرار خلقه وسننه الحكيمة فيها ، وقال تعالى في خلقه بهذه المزايا « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وهو لا يرتقي في معارج الكمال بمزاياه الا بشكر الله تعالى على نعمة الحواس والمشاعر الظاهرة ، والعقول والوجدانات الباطنة ، وعبر عنها بالاقدة في الآية حسب استعمال العرب ، وانما الشكر عليها هو استعمالها فيما خلقت لأجله من تحصيل العلم بالمنافع والمضار والمصالح والمفاسد لأجل العمل بما تقتضيه الفطرة من اجتناب المضره والفسده ، واختيار المنفعة والمصلحة ، على بصيرة وعلم

العبرة في الآية ان الشكر من أعمال الانسان الاختيارية ، لا من المواهب الفطرية ، وقد أرشدنا القرآن ، ودلنا العلم والاختبار ، على أن الانسان يستفيد من حواسه وعقله بقدر تعاون أفراداه على ذلك بالبحث والعمل واستفادة المتأخرين مما وصل اليه علم من قبلهم واختبارهم . حتى لا يضطر كل منهم الى استئناف الاختبار لكل ما يحتاج اليه من الضروريات ، فلا يفرغ حينئذ احد منهم الى الترتي في معارج السكاليات ، وجملة القول في هذه المسألة ان الله تعالى وهب الانسان المشاعر والمدارك الظاهرة كالسمع والبصر والباطنة كالعقل والوجدان ، وجعلها آلات له يرتقي بها الى ما هو مستعد له من السكال ، ووكله في ذلك الى نفسه ، وناط سعادته او شقاوته بعلمه وعمله ، فكان محتاجاً بمقتضى فطرته الى ان يقوم بعض افراده بترية الآخرين وتعليمهم حتى لا يطول عليهم امد الجهل ، والخطأ في العمل ، وانما يكمل ذلك بجعل الترية والتعليم قنينين يفرد بهما من يتقنونهما

كما أنعم الله تعالى على أفراد الناس بالحواس والعقول ، أنعم على جملتهم بعلم آخر أعلى من العلوم التي يستفيد بها كل فرد بكسبه وبمجته ، وهو الوحي الذي أيد به رجالاً منهم بإفادته عليهم من لدنه بغير كسب ولا بحث ، فكان كالمقل للنوع - كما قال الأستاذ الإمام - ولولاه لما ارتقى البشر إلا في الزمن الطويل ، بالسير الناقص البطيء ، « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » هذه إشارة إلى ما تقتضيه فطرة البشر من الحاجة إلى التربية والتعليم ، قهرها بإشارة أخرى إلى مكانة التربية والتعليم من دين الفطرة الذي ختم الله به الأديان ، وهو دين الإسلام ، وأكتفي في بيان هذا بقوله تعالى في سورة الجمعة « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقوله تعالى في سورة البقرة « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » فقد بين الله تعالى أنه أرسل رسوله ليكون مربيا معلما ، فإن الزكية هي التربية الفضلى التي تكون بها نفس الإنسان زكية كريمة متحلية بالفضائل ، مطهرة من الرذائل ، والكتاب مصدر بمعنى الكتابة أي يعلمهم أن يكونوا كاتبين لما يعلمونه ليحفظ وينتشر ، وأن يكونوا حكماء عارفين بالعلوم النافعة التي ترتقي بها أفرادهم وجماعتهم ، وليس وراء هذا التعليم وتلك التربية غاية ، إلا ما يترتب على الكمال فيها من سعادة الدنيا والآخرة

#### تربية الأمم ورسالة خاتم النبيين

أنتقل من هذه المسألة إلى كلمة أقولها في تربية الأمم وهي من أقسام التربية التي ينتها في بدء الكلام فأقول : المراد بتربية الأمم إحداث انقلاب عام فيها ونقلها من طور إلى طور أعلى منه وأرق في الحياة المادية والمعنوية ، وهذا العمل هو أشق الأعمال البشرية وأرقاها ، وهو يتوقف على علم صحيح واسع يقل في الناس من يتقنه ، وعلى بصيرة نافذة يندر في البشر من يؤتاها ، وعلى أعوان كثيرين من أهل هذه البصيرة والعلم يعملون بالتعاون والاخلاص ، وما كل علم بصير يتقن العمل بعلمه وينفع فيه ، وإن كان عمله دون إصلاح أحوال الأمم ، وتغيير أحوالها الاجتماعية ،



## ٥٧٠ وسائل الإصلاح العالمية لا تباع ما لمعه الإصلاح الإسلامي ( المجلد ٨ ص ١٥٣ )

وانما تغير أطوار الأمم عادة بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل .  
ان علوم الاجتماع البشري والاخلاق وطبائع الأمم والسياسة والتربية وغيرها  
من العلوم التي يحتاج الى معرفتها رجال الإصلاح الذين يربون الأمم قد صارت مدونة  
تدرس في معاهد العلم وهي مقبسة من كتب الاديان ومن التواريخ والتجارب ،  
والمتقنون لها في الشعوب المتقدمة كثيرون في أنفسهم وان كانوا أقل من المتقنين  
تغيرها ، ولكن لا يوجد فيهم من يقدر على احداث انقلاب سريع او تغير في احوال  
امة من الأمم البدوية دع الأمم الحضارية ، وانما يحاولون مثل هذا التغير بانشاء  
المدارس السكتيرة وتعميم التربية والتعليم ، وتعاقب القائمين بذلك عدة احيال ،  
اذا تصفحنا تاريخ البشر رأينا ان أبداع مثال واغرب صورة من مثل تربية الأمم  
وصورها هو ما كانت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : أمي نشأ لم يقرأ  
كتاباً ، ولم يملك بيده قلماً ، بل لم يكن يوجد في بلده الذي نشأ فيه كتاب يقرأ  
( بالمعنى الذي يفهم الآن من كلمته « كتاب » وهو مجموعة صحف كتب فيها كثير  
من المسائل ) وقال بعض المؤرخين : انه لم يكن يوجد في مكة قبل بعثته أحد يعرف  
الخط الا سنة رجال ما تعلموه في مدرسة ، ولا قرءوا به علماً ، وانما ألتأههم الضرورة  
الى ذلك بالأتجار ، ومخالطة بعض الشعوب في الاسفار ، نبي هذا شأنه وشأن قومه  
في الأمية ، والبعد عن اسباب العلم والحضارة ، نهض بتربيتهم وهوفي سن الكهولة ،  
قم التغير والتبديل ، قبل اقراض الحيل ، بهداية هذا القرآن الحكيم ، وتربية  
هذا النبي الامي العظيم ، ثم حمل هذه الهداية الذين تربوا بها في الكبر ، الى أهل  
الحضارة والبداءة من شعوب البشر ، فما دخلوا قطرا من الاقطار محاريين أو مسلمين ،  
الا وجذبوا أهلهم الى دينهم ولقنهم من غير مدارس تنشأ ، ولا كتب تقرأ ، ولا مجالس  
للجدال تعقد ، ولا أموال ولا منافع تبذل ، ولا سيف ولا كراه على الدين يستل ،  
وانما كانت سيرتهم الطاهرة ، وآدابهم العالية ، هي التي تجذب الأمم اليهم ، ونفسر  
سرايرها على الاقتداء بهم ، ونفوذ عقولها الى الدخول في زميرهم ، وقد شهد لهم  
ولن تبهرهم من بعدهم علماء الافرنج المتصفون ومؤرخوهم المحققون ، قال الحكيم  
الفرنسي غوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب : ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم  
ولا أعدل من العرب . . . وقد بينت كيفية نشأة الاسلام وانتشاره في خطبتي الختامية  
لاحتفال ندوة العلماء -

أريد بذكر هذا المثال الحارق للعادة من تربية الأمم أن اذكر لكم آية على نبوة



( المار ج ٨ م ١٥ ) عجز الأمم لترقية عن مماثلة الإسلام ٥٧١

نبينا صلى الله عليه وسلم تفوق جميع ما أوتي النبيون من الآيات التي لأجلها آمن به الناس ، فانها آية غامضة عملية ، تدل على التأيد الإلهي لدلالة عقلية حسية ، وأما نحو قلب العصا حية وإبراء الأعشى والأبرص فليست دلالة على النبوة من هذا القبيل ، وقد آمن بسببها من آمن من الناس لأنهم اعتادوا ان يخضعوا لمن يظهر على يديه أمر يملو قدرتهم ، لاستعدادهم ان ذلك لا يكون الا من القدرة الإلهية ، والسلطة الغيبية ، وكانوا بذلك يقبلون هداية الأنبياء عليهم السلام فيحصل المقصود من بعثهم . وقد ضرب أبو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم مثالا للفرق بين الآية العلمية التي هي العبرة والأصل في الدلالة على نبوة نبينا ( ص ) والآيات الكونية التي كان محتج بها الأنبياء السابقون عليهم السلام فقال : اذا ادعى رجل انه طيب ودعا المرضى الى قبول معالجته واستعمال أدويته واستدل على صدقه في دعواه بقلب العصا حية لا يكون دليله كدليل من يدعي مثل دعواه ويدعو الى مثل دعوته مستدلا على صدقه بكتاب ألفه في علم الطب ثم بمعالجته طائفة من المرضى بما في ذلك الكتاب من بيان طرق العلاج والأدوية وشفائهم بذلك في أقرب وقت وأسرعه

نشأ نبينا صلى الله عليه وسلم أميا بين قوم أميين ولم يكن في صباه وعهد شبابه بما كان يعنى به فصحاء قومه واذا كانوا من الشعر والخطابة ، والمبارات في المفاخرة والممانعة ، ثم قام في سن السكولة يدعو قومه وسائر الأمم الى إصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم وسياساتهم واحوالهم الشخصية والاجتماعية ، وقال ان الله أوحى اليه من العلم ما يكفل ذلك ووعدته أن يؤيده فيه فهو يربي قومه العرب ويزكيهم بالقرآن ويعلمهم الكتاب والحكمة وهم ينشرون دعوته وينشرون حكمته في الأمم ، فيفتح الله لهم المشرق والمغرب ، وينقل الله بهم الأمم والشعوب من حال الى حال أعلى وارقى - من الوثنية والعبودية والذلة والظلم وفساد الاخلاق والآداب والجهل الى التوحيد والعدل والحرية والآداب والفضائل والعلم وعمراته ، - وقد كان ذلك - فهل يعقل ان هذا مما يقدر عليه أمي مثله بعلمه السكبي واستمداده الشخصي؟ كيف ونحن نرى الدولة القوية بالعلم والنظام والسلاح تستولي على قطر من الأقطار أو شعب من الشعوب بالقوة القاهرة ثم تقبض بكتلتها يديها على جميع اسباب حياته الحسية والمعنوية ، ومصالحه الجسدية والروحية ، وتحاول ان تربيته تربية جديدة ، مهتدية في ذلك بالسنن التي هدتها اليها علوم الاجتماع والسياسة ، فتمنعه من قراءة ما ينافي غرضها من الكتب والصحف ، وتنشيء له المدارس في كل بلد من بلدانها

## ٥٧٢ تربية البيوت . جهل النساء وطريقة الانفرج في تعليمهن ( المارج ٨ م ١٥ )

وتبث في كل منها دعة دينها ، فيعلمون الصغار في هذه المدارس لغتها ودينها وتاريخها وكل ما يشغل النفس والعقل بها ، ويجول المعلمين عن دينهم ومقومات أمتهم ومشخصاتهم الى انجال ما تحاول الدولة الفاتحة ان تحمده لهم من المقومات والشخصيات ، ثم تراها لا تكفي بتكوين الصغار تكوينا جديدا ، بل تحدث في قوس السكار كل ما يستطيع من الاحداث التي تزعزع كل ما كانوا عليه من مقومات أمتهم ومشخصاتها كتعبير المادات والأزياء ، ونشر الجرائد التي تشغل الأذهان والافكار بعظمة تلك الدولة وامتها وآدابها وسياستها ، - يتولى كل هذه الاعمال رجال استعدادوا لها ، وحذقوا علومها في المدارس العالية ، ثم تمر الأجيال ولا تستطيع دولة من هذه الدول الفاتحة بالعلم والقوة ان تحوّل أمة عن دينها ولغتها وطاقتها بدون استعانة على ذلك بالمدارس والجرائد ، ولا يغير ذلك من الاسباب الصناعية التي هدت اليها العلوم الاجتماعية ، أليس هذا برهان علمي قطعي على ان نبينا (ص) كان مؤيدا من الله تعالى فيه وانه من خوارق العادات ؟ بلى إنه أعظم الخوارق وأقواها ، وأظهر المعجزات واسماها ، وحسبنا منه الاشارة اليه ، والتذكير به

## تربية البيوت والامهات

أنتقل من هذا الى كلمة وجيزة في تربية البيوت - : تعلمون أيها الفضلاء أن تربية البيوت هي الاساس الذي يبنى عليه ما بعده ، وان الامهات هن اللواتي يقمن بها ، وماذا تفعل في أمر هذه التربية ونسائنا قد استحوذ عليهن الجهل بكل ما يتوقف عليه التربية من العلوم والآداب الدينية والدنيوية بعد أن كن يضربن مع الرجال في القرون الاسلامية الاولى والوسطى بكل سهم ، وينان حظن من كل علم ؟ - لأن الاسلام فرض العلم على الرجال والنساء جميعا ، ولم يجعل بين الفريقين فرقا في التكاليف الا ما هو خاص بكل منهما بمقتضى الفطرة او طبيعة الاجتماع (وكأحكام الحمل والولادة الخاصة بالنساء وقنون القتال الخاصة بالرجال )

لا يمكننا أن نقيم التربية القويمة على اساسها الا اذا ربينا النساء وعلماهن ما يتوقف عليه قيامهن بتربية اولادهن ، وقد اضطرب المسلمون في هذه المسألة فبعضهم يدعو الى تقليد الانفرج في تعليم نسائهم وتربيتهم وهم يظنون اننا اذا ربينا نساءنا على نمط تربية نسائهم ، وعلماهن لغاتهم ، نكون في دنيانا مثلهم في دنياهم ، وهذا جهل بلم



## (النازج ٨م ١٥) تربية المدارس . ما يجب فيها ٥٧٣

الاجتماع وطبائع الامم عظيم ، وخطأ في علم التربية والاخلاق كبير ، والصواب أننا نهدم بهذا التقليد مقوماتنا ومشخصاتنا الملية والقومية ، ولا نستطيع ان نبني به مثل مقوماتهم الاجتماعية ، فلينا أن نربي بناتنا على آداب ديننا وفضائله واحكامه ، وان نعلم لغة ديننا ولغة وطننا ، وتاريخ أمتنا وديننا ، وعلم التربية وتدير المنزل والحساب وقانون الصحة ، وشيئا إجماليا من شؤون العالم واحوال العمران يعرفن به حاجات العصر الذي يشن فيه . ويدخل في هذا علم خربت الارض وتقوم البلدان (الجغرافية) والتاريخ العام

هذا هو الذي لا بد منه لكل امرأة ، وقد يحتاج الى تعليم بهضهن العلوم العالية التي لا بد منها كالطب والجراحة ولا سيما القسم النسائي منه المتعلق بالحمل والولادة ، وكفن التعليم فان اللائق بآداب الاسلام ان تكون المرأة هي التي تعلم البنات وتطيب النساء وكما يحتاج الى الطبيبات والمعلمات منا نحتاج الى المريات في البيوت فان أمراءنا وكبراءنا ومقدمتهم من سائر طبقات الاغنياء لجؤا الى المريات الاوريات . يلقون اليهن بأفلاذ اكبادهم من الذكور والاناث فيرينهم على آداب وأخلاق غير آداب ملتهم وأخلاقها ، ويعلمنهم لغات غير لغات أمتهم ودينهم ، ولا خير لهم في هذا ولا لأمتهم ، لانهم يتشكلون بشكل لا يتفق مع شكلها ، فتفصل منهم وينفصلون منها ، فان النفوس في أفكارها وعقائدها وأخلاقها ورغباتها أشكالا كالأشكال الهندسية فاذا كنا لا نستطيع ان قيم بناء وصينا محكما منتظما من حجارة بعضها مثلث وبعضها مربع وبعضها كروي فكذلك لا نستطيع أن نكون أمة عزيزة راقية من أفراد تختلف اشكال قوسهم العقلية والنفسية وما يقرب عليه من اختلاف أعمالهم وطوائفهم ، نعم ان هؤلاء الذين تريمهم النساء الافرنجيات قد يكونون أرقى في الآداب الاجتماعية المصرية والنظافة من أمثالهم الغفل المهملين ، الذين يوكلون الى ما يقتبسونه من العشار والمعاشرين ، ونفضل السيف على العصا لا يبدن فضلا كبيرا ، وانما نطلب تربية نكون بها أمة حية عزيزة متحدة كغيرنا من أمم الحضارة ، ولن ندرك هذا بمثل هذا التفرج التقليدي في كبراءنا ، بل هذا أقوى مايجول يتناوين ما نريد

### تربية المدارس

يجب ان نكون غايقتنا بتربية المدارس اشد من غايه غيرنا لاتنا وقد تضررت علينا التربية الاساسية الاولى بجهل نسايتنا نربي تلاميذ مهري الفساد الى أخلاقهم ، والخزاقات



## ٥٧٤ تربية المرء لنفسه . ما يلزم طالب العلم في ذلك ( الماراج ٨ م ١٥ )

الى عقولهم ، ولما لم تقم بهذا الواجب ولم تمن مدارسنا بالتربية النفسية ولا بالتربية العقلية التي هي وظيفتها الاولى ،

لأعني بالتربية العقلية تعليم العلوم التي يرتقي بها العقل فان التعليم - وان كان يدخل في مفهوم التربية العام الذي يشمل تربية الجسم والنفس والعقل - قد خص بهذا الاسم دون سائر انواع التربية وصارت المقابلة بين التربية والتعليم من المقابلة بين العام والخاص . وانما أعني بالتربية العقلية ان يتوخى في اسلوب التعليم استقلال عقول الطلاب في الفهم والحكم في المسائل ، وتحرير الحقائق وأن لا يعوّدوا أخذ المسائل العلمية بالتسليم والتقليد ، فبهذا تربي العقول وتنمو الافكار ويخرج العلماء المستقلون الراسخون ، إنما سبب تقصيرنا في التربية المدرسية فقد الاساتذة الاكفاء القادرين عليها أو ندرتهم ، فانه يقل في المعلمين منا من تربي تربية صالحة يرجى ثمرها ، وانما يقوم بناء التربية على اساس القدوة والتأسي بالمرابي والاستفاضة من ينبوع فضائله وصفاته « وفاقد الشيء لا يعطيه » وقصاري ما يمكن أن يطالب به العقلاء من نظار المدارس واساتذتها هو أن يتكلفوا ما يجب عليهم من ذلك تكلفا عسى ان يصير ما يتكلفونه خلقا لهم أو لتلاميذهم ، وان يرشدوا الطلاب الى العناية بتربية انفسهم

### تربية المرء لنفسه

#### ايها الطلاب النجباء !

إنني اخصكم بالخطاب والتذكير في هذا القسم من اقسام التربية . سمعتم قولي في تقصير مدارسنا في التربية ورأيي في سببه ، وأزيدكم على ذلك أن المدارس التي هي أرقى من مدارسنا في الامم التي هي أرقى في الحضارة والعلوم من أمتنا ، لا تستقل بخريج الرجال العظام ولا بتكميلهم في التربية والتعليم فان كثيرا من المتخرجين في مدارس أوربة الجامعة يكونون لصوصا وفوضويين وفجرة يفسدون في الارض ويسفكون الدماء . المدارس تفتح للطلاب ابواب العلم ، وتدلهم على طرق العمل لانفسهم ولقومهم أو جنسهم ، ولما لا تبوّههم تلك البيوت ، ولا تقودهم في تلك الطرق حتى توصلهم الى غايلها ، وانما ذلك عليهم لاعلى المدارس ، وان بعض المديرين لشؤون المدارس او المسيطرين عليها قد يريدون من تربية النابتة وتعليمهم مالا تريده تلك النابتة لانفسها لوعقلته وعرفت طاقته . فينبغي للاذكياء من طلاب العلوم ان يكونوا على بصيرة في تعلمهم وتربيتهم ، وأن يعلم كل واحد منهم أنه لا ينال السكّال

## ( المآرج ٨م ١٥ ) التريية النفسية تنشى الرجال المصلحين ٥٧٥

الممكن الابعده الشخصي وعنايته بتريية نفسه وتكميلها  
ربوا عقولكم على الاستقلال في الفهم ، والاستدلال على المطالب ، لتكونوا  
علاء بأنفسكم ، لا ثقلة تحكون علم غيركم ، ليكن العلم صفة من صفاتكم لا صوراً خارجية  
تعرض على مرآة أذهانكم  
ربوا أنفسكم على الفضيلة والتقوى وعلو الهمة وقوة الإرادة ومضاء المزينة ،  
لتكونوا كلمة في أنفسكم ، وقدوة صالحة لامتكم ، إني أعلم ان أكثر طلبة العلم منكم  
ومن غيركم يطلبون العلم لأجل المعاش لا لأجل تكميل النفس بالفضيلة ، ولا لأجل  
النهوض بالامة، وأعلم مع ذلك أن الناس معادن كعادن الذهب والفضة ( كما ورد في الحديث  
الشريف ) وأن من كان معدنه شريفاً وجوهره كريماً لا يرضى لنفسه اذا عرف  
مزايا جوهرها أن تكون في مرتبة المعادن الخسيسة

لا أقول إن من يطلب العلم الديني لأجل السكسب يكون خسيساً مذموماً فان  
السكسب مطلوب بل ضروري ولا بد في انقائه اسبابه من العلم ، فمن يطلب العلم ليكون  
حاكماً أو طبيباً أو مهندساً أو صيدلياً أو تاجراً أو قائماً بغير ذلك من أعمال العمران  
حقيق بأن يكون محمداً في علمه وعمله ، وليكنه لا يفضل من هذه الجهة العوام  
والأمين الذين يعملون ما لا يتوقف على تعليم المدارس من أعمال العمران كالفعلة  
وصغار الصانع والزرايع من حداد ونجار وخباز ووقاد في سفينة أو قطار أو حمام ،  
كل من يؤدي للأمة عملاً من الأعمال التي تحتاج اليه يكون جديراً بالشكر والثناء  
على قدر انقائه له وبذل جهده فيه ، وباللوم والذم على قدر نقصيره فيه ، ووقوفه  
دون الغاية التي يستطيعها من إنقائه ، ولكن المعلمين في المدارس العالية يجب ان  
تكون خدمتهم لأمتهم أرقى من خدمة الفعلة والصانع من العوام ، يجب ان يكون  
فهمهم متعدياً ، يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم في الفضائل والآداب ، والقيام بالمصالح  
العامة ، والمنافع المشتركة ، يجب أن يكونوا بذلك مربين لها ، وعمالاً لرفع شأنها ،  
ولا يكونون كذلك الا اذا غنوا بتريية أنفسهم على الفضيلة والتقوى ، فأننا نرى كثيراً  
من الذين تعلموا في أرقى مدارس ومدارس أوروبا العالية كانوا بفساد تربيتهم وبالأعلى  
الامة إما بسوء أخلاقهم وأتجارهم بصالحها ، وإما بفسقهم واستهانتهم بشريعتها وشعائرها ،  
فيجب أن تراعوا في تربيتكم لأنفسكم ، نسببتكم الى أمتكم ونسبتكم اليكم ، وان  
تتقوا التقليد الذي يهدمكم عن مقوماتها ومشخصاتها ، وتوخوا أن تكونوا معها كيوت  
التمحل المسددة الشكل لكي يتصل ببعض طبقاتها ببعض ، وان تمايزت الطبقات أو



## ٥٧٦ توخي المصلحة العامة يرفع النفس ويعلو بمجموع الأمة (المترج ١٥٨)

الافراد في أنفسهم بالعلم والحكمة كما تمتاز بعض بيوت النحل بوجود النسل فيها على ما لا عسل فيه

لا يتفاضل البشر في شيء كما يتفاضلون في قمع الناس والقيام بمناقصهم العامة ومصلحتهم المشتركة ، وإن أمتنا لشكوا من قلة العاملين للمصلحة العامة ما لا تشكو من قلة الطالبين بها ، فلو كان فينا كثيرون يعملون بما يملونه من مصالح الأمة ومؤثرون ذلك على أهوائهم لما كنا في هذه الحال السوء التي نشكو منها . قال بعض علماء أوربة وكبرائها للاستاذ الامام : اننا نرى فيكم من نذاكرهم فيجاردونا في كل علم وتراهم يفهمون المصالح والامور كما تفهمها سواء ، فما هي علة تأخيركم عنا ؟ الجواب الذي ائق عليه العالمان المسلم والافرنجي أن علة ذلك هي كثرة العاملين للمصلحة العامة في الافرنج وندرتهم فينا

ينبغي لكل من كان كرم الجواهر عالي المهمة أن ينوي ويقصد المنفعة العامة في كل عمل يعمل به ، فإن أقل فائدة ذلك أنه يرقى نفسه ويزيده كمالا وإن لم يتم له ما ينوي ، لا يوجد عمل من الأعمال يتعدى فيه قصد المنفعة العامة ، وانني أضرب لكم مثلا واقفاً على هذا من أغرب ما يؤثر عن الامم الحية . حدثني الاستاذ الامام أنه في بعض أسفاره أراد اختبار بعض أفراد الطبقة الدنيا من الافرنج وكان راكباً في سفينة انكليزية فسأل وقادا فيها عن عمله الشاق وأجرته عليه ، ثم سأله . هل ترجو ارتقاه في حياتك هذه ؟ قال نعم . انني أفكر في عمل عظيم ، وأسمى الى ارتقاه كير ، قال الاستاذ . ما ذاك ؟ قال الوقاد انك تعلم أن معادن الفحم الحجري محدودة ، وانهم يقدرون لها النفاد في قرون معدودة ، فانا أفكر في طريقة للاقتصاد في اتفاق الفحم تكون به امتا الانكليزية أغنى الامم به ، واستفيد انا من هذا الاختراع ثروة كبيرة ومجدا عظيما . فتأملوا وعلموا الله كيف توجهت همه ذلك الرجل الذي هو أدنى الناس حرفة وعملا الى أن ينفع أمته العظيمة الفنية وينمي ثروتها ويحمل الامم والدول في حاجة اليها ، وان ينفع نفسه من طريق قمع قومه ، وهو لم يتجاوز بذلك حدود عمله ، ولم يدفعه الفرور الى الاشتغال بما لا يعد من أهله ، أفيستجز كل فرد من أفراد المتعلمين أن يكون له مثل هذه النية الحسنة ، والهمة العالية ؟

أيها الطلبة النجباء ! إن شعوب البشر متقاربة في الاستعداد للسكالك الانساني ، واتما معاشر الشرقين عامة ، والمسلمين خاصة ، ما سبقنا الامم التي نراها الآن أعلى منا الى العلوم والحضارة لأن استعدادنا الفطري دون استعدادها ، فليكن ان تفكروا

## ( المآرج ٨م ١٥ ) تربية النفس . قيمة المرء ما يحسنه ٥٧٧

دائمًا في استعدادكم ، وإن تستملوه في طلب السكال لا تقسم وأمتكم ، وأنتم قادرون على ذلك

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنتص القادرين على التمام واعلموا ان قيمة الذي تعلم لاجل أن ينال قوتا مضمونا من الحكومة أو من غير الحكومة لا تكون الا بقدر جته التي يسعى لتفديتها ، وأما قيمة قليلة لا يفضل بها التور ولا الحمار الذي يأكل أضاف ما يأكل الانسان ، ولا يتألم كما يتألم الانسان . ومن تلوه به عنته فيطلب أن يكون وجوده اوسع من محيط جسده فانه ينال ما يطلبه ، فاذا هو قام ينفع بلده كان وجوده بقدر بلده بحيث يكون ذكره مائلا له ، واذا هو قام بخدمة أمة كلها ، بعمل نافع يسهل لها ، فان وجوده المعنوي يكون واسعا بقدر سعة أمة كلها ، لا يجمل ذلك قطر من أقطارها ، واذا هو استطاع ان ينفع جميع البشر فيفضل ، فان وجوده يكون بقدر العالم الذي انتفع به ، وامثال هؤلاء الرجال هم الذين يوزن الواحد منهم بأمة ، قال تعالى « ان إبراهيم كان أمة » وقال في عباد له أعددهم ثقم الامم « ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » وعلمنا ان ندعوه بقوله « واجعلنا للمتقين إماما » فليكن أن تربوا أنفسكم على علو الهمة ، وخدمة الامة ، لتكونوا من الأئمة ،

ان الانسان لا يكون قدوة في الخير نافعا للناس الا اذا كان فاضلا كرم الاخلاق ، وان مساوي الاخلاق تشين العالم ، اكثر مما يشين الجهل رب الاخلاق السكرائم ، ولا يفسد الامم شيء كفساد أخلاق علمائها وحكامها وزعمائها ، فاذا قصرتم في تربية ملكة الفضيلة في أنفسكم ، فانكم تضررون أكثر مما تنفون بسلامكم ، اما الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه المرء في تربية نفسه فهو أن يلتزم الاعمال التي تطبع ملكتها في النفس ويتكفها ويواظب عليها ، ولا يتساهل في كبر ولا صغير منها ، وأن يجعل له مراقبا من إخوانه يذكره اذا لسي ، ويلومه اذا تساهل ، وأذكر لكم على سبيل المثال ما جربته نفسي : قلت لرفيق لي في طلب العلم اذا قدرت ان تحفظ علي كذبة واحدة فلك حكمك في الجزاء عليها ، قلت له هذا وما انا بأمن على نفسي من فلتات اللسان ، وزغبات الشيطان ، وأما اردت ان يكون ذلك حاملا لي على شدة الاحتراس من الكذب الذي هو شر الرذائل وأشدّها ضررا ، وأحمد الله أنه لم يستطع ان يحفظ في السنين الطوال التي عاشتني فيها كذبة ما ، وما أبرئ نفسي ( المآرج ٨ ) ( ٧٣ ) ( المجلد الخامس عشر )



ولا أذكيا بهذا ، وإنما أريد أن اذكركم ايها الاخوة النجباء بما جربته واستفدت منه  
لعلكم تصبرون

#### الفضيلة والتربية الدينية

لا فضيلة الا بالدين فمن لم يقرب تربية دينية لا يكون على شيء يعتد به من  
مكارم الاخلاق ، وقد ينشأ بعض الناس على الفضائل والآداب الدينية ثم يعرض  
له الشك في دينه او الجحود في الكبر ، ولكنه اذا استطاع التفلت من جميع تقائده ،  
لا يستطيع التفليت من جميع فضائله ، وقد يفتر هو بنفسه او يفرّ غيره بما بقي له  
من آثار صبغة الدين فيقولون ان الكفر قد اتفق مع الفضيلة ، ويففلون عما يحدثه  
له هذا الكفر من انواع الرذيلة ، وقد يسمون بعض الرذائل بأسماء الفضائل او  
يبدونها منها ،

يوجد أفراد من الملاحدة في البلاد الغربية يزعمون أنه يمكن أن يستغنى في  
تربية النفس عن الدين ، بأن يقام بناء الفضيلة على اساس العلم والعقل ، بأن يقنع  
المرءى من يريه بأن الرذائل ضارة بفاعلها ، أو بالهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ،  
وان الفضائل دعائم المصالح والمنافع ، كأن يقال له : إن الكذب قبيح متى عرف به  
امرو بطلت الثقة به ، ومن لا يوثق به تفوته منافع كثيرة ، ويكون محتقرا في أنفس  
الناس ، ويقال له نحو هذا في مدح الأمانة والترغيب فيها ، ويرون ان هذا النحو  
من التربية أفضل واقنع من التربية الدينية التي اساسها عندهم التخويف من عقاب  
الآخرة ، وقد سمعنا بعض مقلدتهم من المتفرجين يلوكون أمثال هذه الكلمات  
ويتشددون بها ويرون انهم ينطقون بالحكمة ، ويرفعون قواعد الفلسفة

كان سبب حدوث هذه الأفكار في أوروبا ما سبق من ضغط رجال النصرانية  
في القرون الحالية على رجال العلم ، واحرار الفكر ، اذ كانوا يقتلونهم نقيلا ، ويحرقونهم  
بالنار أحياء ، فكان من مقتضى سنة رد الفعل ان يفلو أحرار الفكر من المارقين  
من النصرانية في ذم الدين والتنفير عنه ، وقد وجدوا في كتب ذلك الدين وثقاليد  
وسيرة بعض رؤسائه مجالا واسعا للطعن والتنفير ، ومع هذا كله لا يزال السواد  
الأعظم من الشعوب الافرنجية كلها يربون أولادهم من النشأة الأولى على آداب  
الدين وفضائله ولا سيما الانسكيز والجرمانيين منهم ، ويخصون الاناث بمزيد العناية  
في التربية الدينية لأنهن هن اللواتي يربين الأولاد في الطور الأول من حياتهم ،

## ( المارج ٨م ١٥ ) الفضيلة والريذة والأثرية الدينية وغير الدينية ٥٧٩

ويؤثر عن الفيلسوف سبنسر - أكبر علماء الاجتماع والتربية في هذا العصر - أنه قال ما معناه : أن بعض الناس يريدون تحويل تربية الفضيلة عن أساس الدين الى أساس العلم ، وإذا وقع هذا بالفعل يقع به الناس في فوضى أدبية لا يعلم أحد عاقبتها (١) .

مانا ولكلام الناس وأفعالهم ، اتنا نعلم بالنظر والاختبار أن إقناع جميع طبقات الناس بنفع الفضائل وضرر الرذائل وحماهم على العمل المطرد في ذلك مما لا سبيل إليه ، ولا مطعم فيه ، فالولدان لا يعقلونه ، وبداء العوام وجماهير الشعوب الهمجية لا يقتنعون به ، وأكثر الأذكاء يجعلون أنفسهم معيار المنافع والمضار ، فيؤثرون ما ينفعهم وإن أضر بغيرهم ، ويطبقون ذلك على قانون فضيلة المنافع بالتأويل ، فإذا قدر الواحد منهم على أكل مال غيره بالباطل أو خيأته في عرضه وأمن اطلاع الناس عليه خان في المال والعرض ، وأول ذلك في نفسه بأنه هو الحق بلال واجدر به ، لأنه يضمه في مصارفه التي هي انفع للناس وله ، وزعم أن صاحب المال لا يقدر على أن يأتي بمثل نفعه وعمله ، ولا يأتي أن يقول أن الخيانة في العرض لا ضرر فيها ، لأنه يفسر الفضائل والرذائل بحسب الشهوة والهوى ، وقد صرح أمامي من بعد في الطبقة العليا من حرية الفكر بأن أكل مال الناس بالباطل { أي بدون مقابل ولا تراض } يهدم الفضيلة ، إذا كان سارقه أو ناهبه أو الخائن فيه ينفعه فيما يراه أنفع للهية الاجتماعية مما ينفعه فيه صاحب المال ، ولا يخفى على عاقل أن الناس يختلفون اختلافا كبيرا في النافع والواقع وضدهما فما يراه بعضهم نافعا يستحق الشكر ، قد يراه بعضهم ضارا يستحق قاعله القتل ، فإذا لم يكن لهم دين يحكم كتابه بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وجروا على استباحة كل منهم ما يرى أنه ينفع به ما لا ينفع غيره ، ألا يكونون في فوضى وخيار ، تفسد عليهم أمرهم ، حتى يأذن الله بهلاكهم ؟

يقول غوستاف لوبون في كتابه { روح الاجتماع } أن بعض الفضاة عندهم في { فرنسة } أحصى عدد المجرمين الذين حكمت عليهم محكمة الجنايات فكان ثلاثة أرباعهم من المتخرجين في المدارس العالية والرابع من عوام الناس ، ونحن نعلم أن

(١) كنت أريد أن أذكر في هذا البحث كلمة للفيلسوف ابن رشد - أشهر حكماء عصره - ثم نسيتها وهي أن الفيلسوف الحقيقي لا يجيز أن يجعل الدين محل الشك والاثبات ويوضم موضع البحث لأن ذلك يتضمن جعل مبدأ الفضيلة وأساسها موضع الشك وذلك هدم للفضيلة اه بالمعنى ومثاله أن يشكك المريض في أصل الطب ويحمل على أن لا يقبل المعالجة والدواء إلا بعد البحث في علم الطب نفسه وإقامة الحجة على نفعه



الذين لا يجرمون من هؤلاء المتعلمين الماديين لا يصدهم عن الاجرام والجنابة الفضيّة وانما يصدهم خوف الفضيحة او عقاب الحكومة اذا ظهرت الجنابة ، وبعضهم اشتغاله بعمل يصرف عنها ، وعن الشعور بالحاجة اليها ، وبعضهم تأثير التريّة الدنيّة الاولى ، ولا يكاد يتغف عن الرذيلة أحد تدفعه شهوته اليها وتقربه أسبابها منها ، الا المتدين الذي يراقب الله تعالى ويخشاه ، أو الفيلسوف العالي النفس اذا ثبت عنده انها رذيلة ، والا فالتأني سيرة كثير من الفلاسفة ملوثة بالذائل الكثيرة ، وهذا من معنى قولنا ان الفضيحة القائمة على قواعد الدين تكون عامة ينتفع بها جميع طبقات البشر في بداوتهم وحضارتهم بقدر حظهم منها ، وأما الفضيحة العقلية النفسية المحضة فلا تكون الا خاصة ببعض أفرادهم المتأخرين ، على ما يعرض فيها من سوء التأويل أضرب لكم مثلا رجلا فقيرا بائسا من بلدنا ( القلون ) يكنى « أبا حطب » كان يحمل الحضر والفاكة على ظهره ويصعد من بساتين القلون او طرابلس الشام الى جبل لبنان ينقل بها من قرية الى قرية لبيعها ويأكل من ربحها ، شب وشاب على ذلك - هذا الرجل البائس وجد مرة في شارع من شوارع ميناء طرابلس خال من الناس كيسا كبيرا مملوا بالثقود الذهبية ( الليرات ) فتناوله ووضعه في سلة الحضر التي يحملها على ظهره وبقي يسير الهوينا على عادته الى أن رأى في الطريق رجلا روميا ملهوقا يندو ويصيح « خرب يتي » فحرف الرجل المسكين بالقرينة انه صاحب الكيس فناداه - وهو لا يلتفت اليه - فقال « ياخواجه تعال ياخواجه » فأقبل عليه الرومي فسأله ماذا صناع لك ؟ قال كيس من الذهب فيه كذا من الليرات ، فأخرج له الكيس وقال : أهذا كيسك ؟ قال : نعم نعم قال خذه ، فأخذه الرومي ولم يعطه شيئا ، فسأله بعض الناس لماذا أعطيت هذا الرومي الحبيث الكيس وهو لم يعلم انه كان ملكك ولو أخذته لأغناك عن بيع الحضر طول عمرك ، فقال اذا كان هو لم يعلم أنني أخذت الكيس فان الله علم بذلك وهو مطلع عليّ

هذا ما فعله البائس الفقير « ابو حطب » بوازع الدين وهو مطمئن القلب منشراح الصدر ، أفرايتم لو كان قد تلقى من بعض الفلاسفة الماديين إنه لا إله ولا دين ولا حياة للناس بعد هذه الحياة وان الأمانة واجبة عقلا لأن الهيئة الاجتماعية لا تصلح بدونها ، أكان يسطي الكيس لذلك الرومي وأكثر هؤلاء الاروام عندنا اشرار شرسون لا يجهنم الناس ولا يرجون منهم خيرا ؟ لا والله ، بل لو وجده بعض القضاة للماديين الذين عهد اليهم إقامة ميزان العدل وإحقاق الحق لا كلوه فرحين مستبشرين

## (الناظر ج ٨ م ١٥) الفضيلة في الاسلام وقاعدة درء المفسد وجلب المصالح ٥٨١

اكتفي بهذا البيان الوجيز في اثبات كون تربية النفس على الفضيلة لائمه بالاالدين ، وكون كل دين من الاديان أعون عليها من تلك الفلسفة الناقصة ، التي لا يمكن ان تكون عامة ، وان كانت الخرافات والتقاليد الوثنية في اكثر الاديان توافي كثيرا من الفضائل ، وتكون مثارا لكثير من الرذائل

### الفضيلة في الاسلام وقاعدة درء المفسد وجلب المصالح

أيها الاساتذة والطلاب الكرام! ان عذر من قال من علماء الافرنج بالرغبة عن التربية الدينية الى التربية العلمية هو أنهم وجدوا في الدين الذي نشأوا فيه وساير الاديان التي عرفوها خرافات كثيرة تضل العقل وتحول بين البشر وبين كمال الاتفاع بمواهبهم وما سخره الله لهم من الكون ، وتفسر وجدانهم على قبول ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولو عرف هؤلاء العلماء حقيقة الدين الاسلامي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله التي جرى عليها لما قالوا ذلك القول ولما ذهبوا الى ذلك المذهب على الاطلاق

لوعرفوا الاسلام من كتابه وسنته - لامن سيرة أهله في هذه الازمنة - لوجدوا في أصوله كل ما يروونه نافعا من تربية النشء على اجتناب الرذائل والمفسد لضروها ، والتزام الفضائل ومراعاة المصالح لنفسها ، فان بناء الاحكام والاعمال على قاعدة درء المفسد والمضار وجلب المنافع ومراعاة المصالح ، من القواعد الاسلامية المتفق عليها ، ومن أصول ديننا ان الله غني عن العالمين رحيم بهم فما حرم عليهم شيئا الا لانه ضار بهم ، ولا أوجب عليهم شيئا الا لانه نافع لهم ، « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال تعالى فيمن آمن من أهل الكتاب « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالعرف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » وان المعروف هو ما عرفه العقول القوية ، والطباع السليمة ، والمنكر ما أنكرته ، والطيب ما يطيب للناس لنفسه ولذاته والحيث ضده ، وقد ضبط بعض علماءنا اشياء المتافع بخمس كلمات وهي ١ حفظ الدين ٢ وحفظ النفس ( أي حفظ ذوات الناس ان يمتد عليهم بالقتل او الايذاء ) و٣ حفظ العقل و٤ حفظ العرض و٥ حفظ المال

ان القرآن الحكيم قد قرن فريضة السبادات المحضة ببيان منافعها فقال « وأقم الصلاة ان الصلاة تهي عن الفحشاء والمنكر » أي ان الذي يقيم الصلاة على وجهها المطلوب تلو نفسه وتركوا بما حجة الله وذكره وتلاوة حكم القرآن وعبره ، وتفسير



## ٥٨٢ اصول الاسلام . موافقتها لمصالح الناس ( المراجع ٨ م ١٥ )

مراقبته تعالى ملكة له ، حتى تقهر نفسه من الفواحش والمنكرات ، وقال « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فبين ان الصيام يقصد به تربية ملكة التقوى وهي ان يملك الانسان نفسه وهواه فيسهل عليه انقاء ما يضره ويشينه في دينه ودينه ، وذلك ان من تعود ترك الشهوات التي لا يستغني عنها لحفظ شخصه وحفظ نوعه وهي الاغذية والوقاع يكون أقدر على منع نفسه عن غيرها من الشهوات والأهواء الضارة غير الضرورية ، ومما جاء فيه عن الحج قوله « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » الحج وأما الآيات في فوائد الزكاة وبذل المال في سبيل الله - وهي سبيل الحق والخير - فكثيرة . فاذا كان هذا الكتاب الحكيم يملل امهات العبادات ببيان منافعها وفوائدها فهل يأبى أن تعلل الاحكام الدنيوية والآداب الاجتماعية بالمنافع والفوائد ؟ كلا انه ارشدنا اليها بمثل قوله « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ومثل قوله « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »

أيها الاخوة الكرام !

لا يمكنني في هذا الوقت القصير ان أطيل الشواهد على موافقة اصول الاسلام وفروعه للعقل والفطرة البشرية ومصالح الناس ومنافعهم وأما اقول انني مستعد لاقامة الحجة على كل من يدعي خلاف ذلك فمن عرضت له شبهة فيه فليوردها علي في حال القرب ، وايكتبها الي في حال البعد ، وأنا زعيم ان شاء الله تعالى بكنفها واقناعه فيها ، اذا كان طالبا للحقيقة بالاخلاص ، وقد جربت هذا مع كثير من الشرقيين والغربيين كان لي صاحب في مصر من احرار الانكليز اسمه متشل انس كان وكلا نظارة المالية ، وقد جرى بيننا مذاكرات كثيرة في المسائل الدينية وغيرها وكان كثيرا ما يعترض على بعض المسائل الدينية في الاسلام أو في كل دين وكنت اذا بينت له حقيقة الاسلام فيها يتعجب ويقول لي تارة « هذه فلسفة لا دين » وتارة « هذا رأيك وفلسفتك ما هو الاسلام » وقال لي مرة « اذا كان هذا هو الاسلام فانا مسلم » ومرة أخرى « اما ان اكون انا مسلما واما ان تكون أنت كافرا » ومرة ثالثة « ما اسمع مثل هذا الكلام المعقول عن الاسلام الا منك او من الشيخ محمد عبده افلا يوجد مسلمون غيركم » ومرة رابعة « رأيك اذا سألت عن هذا بعض علماء الازهر يقول هذا الذي قلته ؟ اذا قل هذا علماء الازهر فانا اكون مسلما » انني بهذه التجارب وبما أعلم من حقيقة الاسلام وموافقته لفطرة البشر ومصالحهم

## (المنار ج ٨ م ١٥) تقدم الوثنيين . هداية القرآن . الاسلام واللغة العربية ٥٨٣

ومن حاجتهم الى الدين بمقتضى فطرتهم ، وبما في القرآن من الوعود الصادقة - بهذا كله اعتقد ان الاسلام سينتشر في جميع الامم العربية والشرقية ، وما حجب ام الحضارة عن محاسن الاسلام الاسوء حال المسلمين والجهل بحقيقته وتغير دعاة الدين ورجال السياسة عنه وعن أهله

اتنا نحن المسلمين قد صرنا حجة على ديننا بما فشا فينا من البدع والخرافات ولو كنا مستمسكين بهروته ، محافظين على سنته ، لهم الخافقين ، فان انتشاره السريع في العصر الأول لم يكن الا بحسن حال أهله وفضائلهم وأعمالهم كما اشرنا الى ذلك في الكلام على نشأة الاسلام وفصلناه بعض التفصيل في خطبتنا الختامية لاختقال جمعية ندوة العلماء ، وقد وصلنا الى دركة من الأخطاط صار فيها الوثنيون في هذه البلاد ارقى من المسلمين علما وعملا وأحادا ، هؤلاء الذين لا يزال الملايين منهم يسرون في الاسواق والشوارع مكشوفي العورات ، عراة الاجسام ، حفاة الأقدام ، موسومي الجباه بأصباغ الاصنام ، بل صار هؤلاء الذين يعبدون الأحجار والأنهار والاشجار والقروود يطعمون في إدخال المسلمين في دينهم ، وقد صاروا يتصدون الى دعوتهم ، وقد بلغني هنا انه دخل في دينهم طائفة ممن يعدون من المسلمين ، وان لم يكونوا منهم الا في الاحكام الرسمية ، والاحصاءات الجغرافية ، ولا يوجد شعب اسلامي محتاج في حياته السياسية والاجتماعية الى الدين كاحتياج مسلمي الهند ، فانهم اذا أحيوا الاسلام فيما بينهم تعود كثرة الوثنيين الى قلة وقلة المسلمين الى كثرة «وانما العزة للكائر» كما قال الشاعر العربي

هكذا وانه لا حياة للاسلام ، الا باحياء هداية القرآن ، ولا تحيا هداية القرآن الا باحياء اللغة العربية ، ومن حسن حظكم أن حكومتكم رغبة في إحياء لغة دينكم ، فاذا قصرتم فيها فلا عذر لكم ، عليكم ان تحيوها في هذه المدرسة التي هي اكبر المدارس الاسلامية في الهند ، عليكم ان تعلموها كما تعلمون اللغة الانكليزية بالنسكلم والقراءة والكتابة ، اذا كنتم محتاجين الى اللغة الانكليزية لأجل دنياكم ، فانتم محتاجون الى اللغة العربية لأجل دينكم ودنياكم ، فالحياة الصورية المادية ، لا تقوم وتثبت وتتمى الا بالحياة الأدبية المعنوية ، والا فان الوثنيين قد سبقوكم في جميع العلوم والأعمال الدنيوية ، وهم اكثر منكم عددا ، وأوفر مددا ، فلم يبق أمامكم الا قوة دينكم ، تبلغون بها ما تريدون في دنياكم وآخرتكم ، لانها قوة الحق والخير وهي اكبر قوة في الكون



### المزينة وتربية الإرادة

اشرت في سابق كلامي الى ما يجب من تربية الارادة ، ولإحكام ملكة المزينة ، وهذا النوع من التربية هو المميز النادر الذي يقل فينا من يفكر فيه ، وفي الحاجة الشديدة اليه ، وقد رأيتني مضطرا الى التويه بمد تذكير الطلبة النجباء بالواجبات التي تطلبهم بها أمتهم وملتهم ، فان ضعف الارادة يستكبر هذه الواجبات ، حتى يعدها من المحال ، الذي لا يدرك ولا ينال ، وأما قوتي الارادة فانه يراها من أقرب الامور منالا ، واسهلها طريقا ، وهو لا يأتي ركوب الصواب ، واقتحام العقاب ؟ ، في المهام الطامسة الاعلام ، البعيدة الأرجاء ، اذا ظن انه يدرك بها الامل وينال الرجاء ايها الطلبة النجباء !

لا يتفاضل الناس في شيء تظهر به مزاياهم كتفاضلهم في قوة الارادة ، وما أنى الله الانسان قوة يعلو بها شأنه ، ويظهر بها استعداداه ، كقوة الارادة ، بقوة الارادة تصرف الانسان في الطبيعة ، وسخر لثنافه انواع الخليفة ، وعمل بعض افراده من الاعمال ، مالا تعله الامم في الاجيال ، وقد عبر بعض كبار الصوفية عن سبر الله الاعظم في ارادة الانسان بكلمة كبيرة جدا قد يستمر ظاهرها ويهداساة ادب مع الباري عز وجل ولكن هذا ان عد من لوازم الكلمة فهو ليس مرادا لمن قالها . تلك الكلمة الكبيرة هي قوله « ان الله عباد ( ١ ) » اذا أرادوا اراد « يعني ان أصحاب الارادة اذا جزموا ارادتهم بأن كذا لا بد ان يكون فان ذلك يكون سببا كافيا لان يكون وتعلق ارادة الله تعالى به بحسب سنته في خلقه ، فكان ارادتهم شعبة من الارادة الالهية ، اولئك اصحاب العزائم الذين تشهد لهم أعمالهم العظيمة ولا شهادة أبلغ من شهادة الاعمال

أيها الشبان النجباء : اعلّموا أن من فقد ارادته فقد نفسه ، وكان آلة في يد غيره او تابعا لهوى نفسه ، ولا يمكن ان يكون رجلا عظيما ، ربوا إرادتكم بحملها على ترك الهوى الباطل ، وتمويدها حمل المكاره في سبيل الحق والخير ، لتكونوا مالكيين لا تقسمكم لا مملوكين لها ، ومن كان عاجزا عن التصرف في نفسه ، فهو جسد ير بان يكون أعجز عن غيره ، ضعف الارادة لا يكون الا ندلا جبانا ، والجبان لا يكون

( ١ ) رويها الكلمة بالسكون لاجل السجع وهو موافق للغة ربيعة والا فالقياس ان يقول « عبادا » ويصح ان يقول حينئذ « ارادا » في السجدة الثانية

## (المنار ج ٨ م ١٥) قوة الارادة وصدقها . مثال منه ٥٨٥

الاخا يا او منافقا، فليكن بالشجاعة والعزيمة والتجدة وعلو الهمة ، فبغير هذه الصفات لا تظهر مزايا الانسانية فيكم

لا تمولنكم الواجبات التي تطلبها الامة منكم فان الارادة الصادقة لا يقف امامها شيء ، الارادة الصادقة أعظم قوة خلقها الله في هذه الارض ، فلا تنفلوا عن تربيتها في انفسكم والاستفادة منها في بلادكم ، وقل من صدقت ارادته في طلب شيء ولم ينله ، اللهم اذا طلبه من أسبائه ، ودخل عليه من بابه ، ان مدرستكم هذه شاهد من أصدق الشواهد على صحة ما أقول ، قائم تعلمون ان مؤسسها السيد احمد خان رحمه الله تعالى قد صادف في سبيلها المصاعب ، واحتمل المتاعب ، ولولا قوة ارادته وثباته لقضى عليها في طفوليتها ، فهو بما كان عنده من العزيمة والثبات قد غالب المصاعب وصارعها ، حتى غلبها وصارعها ، ووصلت المدرسة الى الدرجة التي ترونها من السعة والعظمة وبرجى لها الزيد ، فهل كان يخطر مثل هذا في بال أحد من الجبناء أصحاب الارادة المريضة في طور تأسيس هذه المدرسة ؟ ولو قصد السيد أحمد خان ما هو أعلى من ذلك وأعم فائدة لئلا بقوة الارادة ، وقد علم أن المدرسة أنشئت لغرض لا بد للمسلمين في الهند منه فكانت الطريق الموصل اليه ، وان هذا الغرض ليس هو كل المطلوب لامة مثل أمتكم هي في بلادكم على خطر اجتماعي واقتصادي بسبق الوثنيين لكم في العلم والثروة والاتحاد على كثرتهم وقتلتكم ،

انني كررت النذر ورددت الذكرى عسى ان تسموا بأصحاب الاستعداد منهم الى تربية أنفسهم ، واعدادها لخدمة أمتهم وملتهم ، وعدم الرضا لها بالضعف والخلو ، والقناعة بترفيه هذا الجسد الحيواني باللباس والقوت ، كونوا قدوة صالحة لامتكم بالفضيلة والتقوى والحفاظة على شعائر الدين وفرائضه ، كونوا مستقلين في عقولكم وأفكاركم ، مستقلين في ارادتكم ، بحيث لا تخافون في سبيل الحق والمصلحة لومة لائم ، واياكم والتقاليد والبدع الفرية التي تبعد أهل ملتكم عنكم وتبعدكم عنها ، كونوا جامعين لا مفرقين ، كونوا مرغبين للامة في العلوم المصرية التي تسمى الثروة ، وترقي جميع مرافق البشر ومنافعهم ، ولا تكونوا بسيرتكم الشخصية منفردين لهم منها ، ان المسلمين في بلادكم اقساموا في كل بلاد دخل فيها التعليم الا وربي الى ثلاثة أقسام ، قسم قن بالجديد ممقت كل القديم ، وقسم جمد على القديم فهو يفر من كل جديد ،

(المنار ج ٨) (٧٤) (المجلد الخامس عشر)



وقسم معتدل بينهما ، يأمر بالمحافظة على القديم النافع وترك الضار منه بالتدريج ، وإضافة ما لا بد منه من الجديد بشرط حفظ مقومات الأمة ومشخصاتها والحذر من قناتها في غيرها ، فسكونوا من المعتدلين الجامعين فأنتم في قومكم أعرف من غيركم بالحاجة الى هذا الجمع ، وخطر الخلاف والتفرق ، وأمامكم الأمة الانكليزية في سيرتها وأخلاقيها عبرة لكم لاتظاهيها عبرة ، انها لا تترك شيئاً من عاداتها ولا تقاليدها ولو الى أحسن منه الا اذا اضطرت اليه فانها تأتية بالتدريج والا أصرت عليه كما تصر على مقاييسها ومكاييلها ولا تتركها الى المقاييس والمكاييل التي هي خير منها ، والعامل من اعتبر بغيره والله الموفق وإياه أسأل أن يتم النفع بكم لامتكم انه سميع مجيب

## بشار عيسى ومحمد<sup>(١)</sup>

### ﴿ في المهدين العتيق والجديد ﴾

٥

(١) ما يدرينا أنه وبخهم ولم يصل إلينا ذلك مع العلم بأن نفس كتاب الانجيل اعترفوا بأنهم لم يكتبوا كل ما قاله المسيح أو ما فعله فقال يوحنا انه لم يكتب كل ما فعله المسيح وأن أعماله كثيرة جداً لا يسعها العالم فلا بد أن كثيراً من أقواله التي قالها حين فعل هذه الاعمال لم تكتب أيضاً ( يو ٢١: ٢٥ )

على أن المسيح صدق ما فيها من الشرائع والنبوات فقط كما في انجيل متى ١٧: ٥ و ١٨ ولم يتعرض للتاريخ الذي فيها بشيء ، كذا الذي في انجيل متى فان كثيراً من هذا التاريخ غير صحيح وبعضه خرافي لا يمكن أن يقره المسيح كقصة شمشون ودليلة ( قض ١٦ : ٤ - ٢٢ ) ووقوف الشمس ليشوع ( يش ١٠ : ١٣ ) وغير ذلك كثير (٢) لماذا لم يوضح المسيح اليهود على السكتب الابوكريفية ( الكاذبة ) التي كانت في الترجمة السبعينية وقتئذ وكانت مسلمة عند اليهود والنصارى كما هي مسلمة عند الكاثوليك والأورثوذكس إلى اليوم ؟ فان قيل إنهم ربما لم يكونوا

٥) تأمل لما نشر في الجزء السابع ص ٩٤ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

## ( المار ج ٨ م ١٥ ) نسخ كتب اهل الكتاب باقرآن ٥٨٧

يعتقدون أنها ملهمة من الله في ذلك الوقت . قلت وربما إنهم أيضا لم يعتقدوا صحة نسبة هذه الكتب الى موسى عليه السلام واذا كانوا يسمونها ( كتب موسى ) فذلك لان أهم ما فيها هو تاريخه وتاريخ أمته عليه السلام كما يسمى تاريخ المسيح وتعاليمه إنجيله ( غل ١ : ٧ ) مع أنه لم يكتبه بنفسه فيجوز أنهم ما كانوا يعتقدون أنها إلهامية ويجوز أنهم ما كانوا يصفونها إلى سفر التثنية في مجلد واحد وقديكون هذا الضم وهذا الاعتقاد في إلهامها وصحتها إنما نشأ بهذا المسيح عليه السلام في أواخر القرن الاول فبدأوا حينئذ يعتقدون أن موسى هو كاتبها لا غيره ثم تبهم النصارى في ذلك وجاروهم استميلوهم لدينهم ولائهم كانوا منهم

(٣) لماذا لم يبين المسيح للمرأة السامرية التي سأته عن اختلاف اليهود والسامريين في جبلي عيمال وجرزيم - لم يبين لها يانا صريحا الحق من المبطل ولم لم يذم المخرف منهما ويشهر به ( يو ٤ : ٢١ ) ؟ ؟ (١)

« ١ » حاشية : مما قاله عيسى عليه السلام لهذه المرأة السامرية كما في إنجيل يوحنا ٤ : ٢١ « يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للاب » وهذه العبارة تتضمن الاشارة الى الديانة الاسلامية التي تحيز السجود لله في كل مكان والقبلة فيها الى مكة لا الى أورشليم ولا الى غيرها . واليهود والسامريون الذين أسلموا صاروا يمدون الله متجهين الى الكعبة . وهذه القصة السامرية تدلنا على السبب الحقيقي الذي جعل عيسى لا يبالي بالتصرح ببيان المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه لانه علم أن الشريعة الموسوية في هذه المسألة زائلة والشريعة الباقية التي ستأتي يسجد بحسبها الناس في كل مكان والى غير أورشليم ولغير جبل السامريين . وهذا السبب بعينه هو الذي جعل عيسى على عدم بيان الكتب الابوكريفية وغيرها التي يتخبط في شأنها النصارى الى الآن لانه علم أن جميع هذه الكتب ستستبدل بكتاب ( التارقليط ) الذي قال فيه يو ١٦ : ١٢ و ١٣ « ان لي امورا كثيرة أيضا لا قول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الان . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية » ولا يصح حمل هذه العبارة على « روح القدس » كما تدعي النصارى لانه هو عين الله تعالى كما يزعمون ولا معنى حينئذ لقول المسيح « لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » ولم يأتهم روح القدس بشيء لم يكن في زمن عيسى أو كان حمله شافا عليهم فحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يتكلم بما يسمع من رحي الله اليه « وما ينطق عن الهوى ان هو الا رحي يوحى » وهو الذي بين للناس الحق من الباطل في أمر هذه الكتب وقال قرآنه « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » وقال « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وشرع للناس شرائع كثيرة فكان عيسى عليه السلام لما علم



## (٤) إن المسيح عليه السلام وبشهم على ابطال شريعة موسى بثقاليدهم وأنهم

== أن هذه التكتب سيخل محالها القرآن الذي قرب مجيئه وجاء هو مبشرا به وأنها ليست باقية الى الابد بل سيتماضي عنها قريبا بالقرآن الذي سيدينهم ككثيرا بشيين صحيحها من فاسدها بل أفرغ جهده كله في تبين حقيقة الدين وروحه وجوده وفي أن الله لا يتالي بالصور والظواهر بل بالقلوب والنفوس وبالنس في اوضح هذه المسائل حتى يرد اليهود عن غلوهم في اعتبار ظواهر الدين وقشوره (أو طقوسه ورسومه كما يعمرون) ليعمد النفوس لقبول الشريعة الاسلامية المتوسطة بين الافراط والتفريط والتي جمعت بين مطالب الروح والجسد وبين الظواهر والبواطن كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ترك عيسى عليه السلام بيان ما حل هذه التكتب من الفساد لعله أنها كادت تنتهي وظيقتها وأنها زائلة قريبا وأن العبرة بمجهر الدين لا بقشوره كما ترك الاقصاد عن الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه واختلاف فيه اليهود والسامريون لكونه يعلم ان الشريعة الالية الباقية ستعين موضعا آخر غير موضع اليهود والسامريين وان أمثال هذه الاختلافات الجزئية ستزول بطبيعة الحال ويكفي ان يأخذ اتباعه بلب الدين وجوهره ولا يضيعوا اوقاتهم في الخلاف في جزئياته وقشوره حتى تنطبع نفوسهم على الاخذ بالروح والحقيقة لا بالظواهر التي كانوا قد اهلوا كل شيء في سبيل العمل بها ومتى استمدت النفوس لقبول الحق واثبات الروح والجسد مطالبهما من غير افراط ولا تفريط جاء محمد عليه السلام بالفرقة الوسطى وارشد الخلق لجمع الحق كما بشرهم عيسى عليه السلام من قبل فتخضم به حينئذ النبوة (دا ٩ : ٢٤) ويحفظ الله دينه الى الابد (دا ٢ : ٤٤)

ولو كان عيسى عليه السلام يعلم ان كتب اليهود ستبقى الى الابد لما ترك الناس خيارى في شأنها ولوجب عليه تبين صحيحها من فاسدها حتى لا يبقى أتباعه في أسرها الى الآن ضالين فبرفض بعضهم ما يأخذ به الآخرون ويستقدون اليوم بكتاب منها أو بأصحاح فيظهر لهم غدا أنهم كانوا مخطئين فهم يتلمسون الحقيقة ولا يجدونها الا بالاخذ بالاسلام وحينئذ يستريحون من عنائهم في هذه التكتب المجهول أصلها هداهم الله الى سواء السبيل

هذا ولما كان مجيء الساعة التي يسجد فيها الناس لغير قبة أورشليم وقبة جبل السامريين محققا وأمر مقتضيا من الله ولا بد من وقوعه قال المسيح يو ٤ : ٢٣ (ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقة يسجدون للاب) فكأن الساعة موجودة بالفعل وقت الكلام لتحقق آياتها ولذلك قال (وهي الآن) وهذا يشبه قوله تعالى (أني أمر الله فلا تستمجلوه) وورد أيضا في كتاب حزقيال مثل هذا فقال ٣٩ : ١ - ٨ (وانت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل هكذا قال السيد الرب الي قولها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه) مع ان هذا اليوم لم يكن وقتئذ أتى ولا صار فيه شيء مما أنبأ به وانما قال ذلك لتحقيق حصوله فكذلك قول المسيح عليه السلام السابق وقد قال مثل ذلك أيضا في يوم القيامة كما في انجيل يوحنا هذا ٥ : ٢٥ و ٢٨ فورد فيه ما يأتي (الحق الحق أقول لكم انه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) الى قوله فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فتقوله وهي الآن لتحقيق آياتها ولقربه بالنسبة لما مضى من الازمان وكذلك قوله متى ٢٦ : ٦٤ (وأيا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحاب السماء) مع أنه الى زماننا هذا لم يأت المسيح على سحاب السماء

يعلمون تعاليم ليست من الله بل من الناس وأنهم يفعلون أمورا كثيرة مثل هذه (مرقس ٧ : ١٣-٦) فما المانع من أنه يريد بقوله (أمورا كثيرة مثل هذه) وقوله (تعاليم هي وصايا الناس) أنهم يكتبون أشياء وينسبونها إلى موسى عليه السلام مدعين أنها من الله وهي ليست منه بل هي من اختراعاتهم وقد سبق أننا قلنا أن ماعدا سفر التثنية من أسفار موسى الأخرى لم يكتبه هو بل تعتبر من التقاليد (الاحاديث) المروية بالرواية الشفوية ثم كتبت بعد فاعلم ذلك هو المراد بقول المسيح (مر ٧ : ١٣) (وأمورا كثيرة مثل هذه تفعلون) على أن المسيح عليه السلام لم ينهمهم إلى ما وقع في نفس سفر الشريعة (التثنية) من الخطأ العلمي الصريح كالقول باجترار الارنب الجبلي (تث ١٤ : ٧) لما ذكرناه هنا في الحاشية من ان هذه الشرائع كانت مؤقتة وانها زائلة بالاسلام (١) وأن محمد سيدين لهم كل شيء كما قال عيسى عليه السلام (يو ١٦ : ١٢ و ١٣) لعدم استعدادهم في زمن المسيح لقبول ذلك

هذا وقد اعترف بطرس في رسالته الثانية بأن الناس كانوا يحرفون الرسائل والكتب فقال ٣ : ١٦ (كما في الرسائل كلها أيضا متكلمة فيها عن هذه الامور التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين بباقي الكتب أيضا لهلاك أنفسهم) والتحريف هنا يشمل المعنوي واللفظي أيضا وتخصيصه بالمعنوي لا دليل عليه فاذا كانوا يحرفون الأشياء العسرة الفهم في كتبهم في زمن الرسل أنفسهم كما يدل عليه هذا القول فما بالك بغير زمنهم بعد ان ماتوا وذهبوا؟ وقال بولس ايضا غل ١ : ٧ (انه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون ان يحولوا «يحرفوا» انجيل المسيح) وهو يدل على ان رغبة الناس في تحريف الانجيل كانت قديمة منذ نشوء المسيحية ولا ندري اي انجيل من الانجيل الكثيرة كان محبوبا عند بولس ويسميه (انجيل المسيح) ولعله كان احدا لا نجيل التي رفضوها وصموها بالانجيل الكاذبة

(١) حاشية : جاء الامر بالاسلام لله في أقدم كتبهم فقال في سفر أيوب (ويظن انه كان قبل ابراهيم) ٢٢ : ٢١ (تعرف به وأسلم) وفي التبري وسلام أي كن مسلما وهذا مصدق لقوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)



## ٥٩٠ زعم النصارى عدم تحريف كتبهم (المنار ج ٨ م ١٥)

وجملة القول في هذه المسألة أن المسلم لا يمكنه أن يثق بشيء مما يسمونه الآن التوراة والإنجيل اللهم إلا جل الشريعة الموسوية كما في سفر التثنية وبعض أقوال المسيح ومواعظه كآتي في الأصحاح ٥ و ٦ و ٧ من إنجيل متى فإنا نرجح أنها صحيحة غير محرفة والنقراَن الذي ثبتت صحته بالبراهين القاطعة هو الميزان الذي نوزن به هذه الكتب فما صدقه منها كان حقاً وما كذبه كان باطلاً وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً (١) عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون

## ﴿ تدبيل لهذا الفصل الثالث ﴾

وفيه مسائلتان

( المسألة الأولى : في كلمات الله . وفي تسمية المسيح بالكلمة )

يزعم بعض النصارى أن كتبهم المقدسة لا يمكن تحريفها ولا تبديلها لقوله تعالى ( أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ) وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم )

(١) حاشية: المهيمن هو الرقيب والشاهد. فالقرآن المنزل من عند الله الرقيب على كل شيء يشهد على هذه الكتب بما فيها من الحق والباطل وبما يدخلها من الفساد فيقرر ذلك لنا ويعترف به. اعتراف الشاهد الذي رأى وعلم بما يقرره فهو عليها رقيب شهيد . يحق حقها ويبطل باطلها . وكذلك الأمة الإسلامية تشهد وشهدها على من سبقها من الأمم الأخرى في الدنيا والآخرة بما أخبرنا الله تعالى من أحوالهم مع أنبيائهم . فالسلمون وكتابتهم رقباء شهداء على غيرهم . وعلى كتبهم بما أعلمهم الله تعالى كالشهيد الذي يرى فيقرر ويعترف بما يوقن به . ولذلك قال تعالى ( لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) فالشهادة هي الاقرار والاعتراف بما يرى أو يعلم باليقين كأنه مشاهد ومن ذلك قول المسلم ( أشهد أني لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله )

أما كون كتب النصارى واليهود محرقة فهذا لا شك فيه كما سبق بيانه وأما كون التوراة والإنجيل منزليين من عند الله لهداية الناس فهذا أيضا لا شك فيه وأما زعم أن القرآن لم يقل بتحريفهما اعتمادا على مثل الآيتين السابقتين فهو قول باطل لأن القرآن نص على تحريفهما في عدة آيات : منها قوله تعالى ( أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفون من بعد ما علقوه وهم يلعبون ) وقوله ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ) وقوله ( يحرفون الكلم من بعد مواضعه ) وقوله ( يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم ) وقوله ( قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب أو غير ذلك كثير وهو دال على وقوع التحريف والتبديل في هذه الكتب والزيادة عليها والنقص منها وقد أثبتنا ذلك كله في هذا الفصل ولا يزال الانسان يطلع - كما قال تعالى - على خائنة منهم إلى اليوم

أما الآية السابقة التي تمسكوا بها في عدم تبديل كلمات الله فهاك معناها : - قال تعالى ( أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ) فهم يعلمون ذلك لكثرة ما في كتبهم من البشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وأتمه ووضوح ذلك فيه بحيث لا يمكن انطباقه على أحد سواه وسيأتي بيان ذلك في فصل البشائر ثم قال تعالى ( وتمت كلمة ربك ) أي تحقق وعده بمحيي محمد عليه السلام وقد ورد هذا اللفظ « تمت » بهذا المعنى أيضا في قوله تعالى في آخر سورة هود « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله بعد ذلك ( صدقا وعدلا ) أي تحقق هذا الوعد وظهر صدقه وكان ما حدث من محيى محمد وبشر ببعثه مطابقا لما أخبر به من قبل تماما بلا زيادة ولا نقصان فان معنى ( العدل ) المساواة كما في قوله تعالى ( أو عدل ذلك صياما ) أي ما يساويه من الصوم فوعده الله بمحمد تحقق بغاية الدقة والضبط وقد حدث كل ما أخبر به عنه في الكتب السابقة ولم يتخلف منه شيء فان وعد



الله لا يمكن أن يتبدل أو يتغير وليس لاحد أدنى قدرة على إخلاف ما أنبا به تعالى ومصادمة الحوادث وتغييرها حتى لا توافق وعده فإن كل ما قضاه تعالى لا بد أن يكون ولو حالت السموات والأرض والجبال دونه ولذلك قال تعالى (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لقضائه ولا يخالف لوعده فليس المراد بالكلمات هنا نفس الألفاظ والعبارات بل كل ما قضاه الله تعالى وحكم به وقدره فلا يمكن لأحد أن يمنعه من تنفيذه وقد ورد مثل هذا المعنى في قوله تعالى (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى معانم لنأخذوها ذرونا تتبعكم ، يدون أن يبدلوا كلام الله ، قل ان تتبعونا ، كذلك قال الله من قبل) فالمخلفون لم يريدوا قط أن يبدلوا نفس ألفاظ قول الله وإنما أرادوا ان يماوا بخلاف ما أمر به وقضاه ففسى ذلك تبديلا لكلام الله أي تبديلا لأمره وقضائه بأن لا يخرجوا للقتال مع رسول الله (ص)

فكلمات الله تطلق على عدة معان فقد ترد بمعنى كسبه وشرائمه وقد ترد بمعنى قضائه وقدره كما بينا هنا وقد ترد أيضا بمعنى مخلوقاته تعالى لأنها خلقت بكلمة (كن) فكلمات فهي توجد بمجرد صدور هذا الأمر منه بلا تباطؤ ولا تأخير. قال تعالى إرسم (كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فكلمته تعالى خلقت السموات والأرض كما قال داود في أحد مزاميره (مز ٣٣ : ٦) ومن ذلك تسمية المسيح بكلمة الله فانه خلق بدون أب ليكون آية للعالمين دالة على كمال قدرة الله تعالى على سائر الممكنات ولتنبيه البشر إلى عدم الاعتراض بمعلوماتهم وأفكارهم وإظهار أنهم لا يزالون عاجزين عن الاحاطة بأسرار نواميس هذا السكون العظيم وسنن الله فيه وأنه تعالى قادر على خرق العادات وتقض ما يتوهمونه ناموسا لا يمكن تقضه لقصر عقولهم وتقصر معلوماتهم التي اغتروا بها وظنوا أن الخلق تعالى مقيد بها وخصوصا في ذلك الزمن زمن انتشار الفلسفة اليونانية القائلة مثلا باستحالة الخرق على الاجرام السماوية وغير ذلك من أوهامهم الباطلة التي كانت عقبة في سبيل العقل البشري تحول دون ارتفاعه وتوسعه في العلم والعرفان والابداع والاختراع

فما كان الناس يعدونه من المستحيلات خلق الحيوان بدون أب فأظهر الله

تمالى لم بمسألة المسيح أن الأمر ليس كذلك فاستعدت العقول للبحث والتنقيب حتى هدى الله الباحثين في المخلوقات إلى أمثال ذلك كثيرة فشاهدوا في بعض أنواع الحيوانات الصغيرة كقمل النبات مثلاً (Aphides) ما يسمونه بالتولد البكري (Parthenogenesis) وذلك أن الأنثى تلد بدون تلقيح الذكر ويتكرر ذلك في عدة أجيال من نوعها وبعد ذلك يحتاج الجيل الأخير للتلقيح ، ومن العلماء المتأخرين من يقول الآن بمجاوز حصول ذلك في الإنسان أيضاً وغيره من الحيوانات الراقية قياساً على ما شهدوه من أن ما يحصل في بعض أنواع الحيوانات على سبيل القاعدة قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في غيرها ومن الجنون أن يتخذ مثل هذا الشذوذ في المخلوقات دليلاً على ألوهيتها كمن يتخذ المرأة التي لها أكثر من ثديين إلهة ويسبدها لأنه لم يرَ امرأة أخرى مثلاً أو لم يسمع بفلك ولكن يعبد امرأة أحصفت فرجها عن الزنا ولكنها حملت وهي عذراء من زوج لها عين لم يمسسها بالجماع المتصاد بين صحيحين بل بالاحتكاك الخارجي فقط مع الاتزال فظن العابد لها أن ذلك مستحيل مع أن الأمر ليس كذلك بل هو واقع مشاهد

فليس المسيح عليه السلام وحده آية دون سائر المخلوقات بل هو فقط من أعجب المعجائب وأكبر الآيات (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) وكما أنه سمي (بكلمة الله) كذلك سائر المخلوقات سميت بكلمات الله قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - إلى قوله - ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) والآيات وقال أيضاً للدلالة على عظم نعم الجنة وسعته وبقائه (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) فالمراد بكلمات الله في هذه الآيات مخلوقاته تعالى كما يدل على ذلك السياق فيها . وسمي (المخلوق) بالكلمة من باب تسمية الشيء بسببه على سبيل المجاز المرسل كما يطلق اليد على النعمة

(النارج ٨ م ١٥) (٧٥) (المجلد الخامس عشر)



## ٥٩٤ سبب تسمية المسيح بالكلمة (المنار ج ٨ م ١٥)

في قول القائل عظمت يد فلان عذدي (أي نعمته التي سببها اليد فكذلك مخلوقات الله لما كُوت بكلمات الله سميت (بالكلمات) قادم والمسيح وسائر البشر هم كلمات الله وإنما اشتهر المسيح بين المسلمين بالكلمة دون آدم مثلاً لا يوضح كيفية خلقه لينفي عنه اعتقاد النصارى بألوهيته واعتقاد اليهود بأنه ابن زنا (١) ولأنه أحدث من آدم عهداً بالنسبة إلينا ونعلم من أخباره وأحواله ما لا نعلمه عن آدم فهو آية لنا قرينة وله من المعجزات العظيمة ما يجعله أولى بهذا الاسم من سواه فإنه فضلاً عن كونه خلق بدون أب تكلم في المهد وخلق من الطين طيراً وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله فلاجتماع هذه الأشياء كلها فيه كانت تسميته بالكلمة اظهر من تسمية غيره وإن كان الناس كلهم كلمات الله كما تقدم. انظر مثلاً خالد بن الوليد فإنه سمي (سيف الله) لشجاعته العظيمة ولاهلاكمه اعداء الله فهل اشتهاره بهذا الاسم يدل على ان غيره غير جدير به؟ وكما ان الله اباد بخالد كثيراً من اعدائه فسمي (سيفه) كذلك المسيح خلقه الله خلقاً عجيباً واجرى على يديه معجزات عظيمة وآيات كبيرة وبه ظهرت قدرة الله تعالى للناس فسماه لذلك كلمته مبالغة وإكراماً له كأنه هو نفس الكلمة التي فعل الله بها هذه الأشياء على يديه كما أن خالداً شبه بالسيف الذي يقطع الله به الأشرار وفي الحقيقة ليس لله كلمة محفوظة عند إرادة الخلق ولا له سيف محسوس وإنما هي مجازات موهودة في اللغات كلها ومثل ذلك سمي المسيح أيضاً روح الله لأنه يحيي النفوس والجناد والموتى

ومن هذه المجازات نشأ غلط النصارى لظنهم أن (الكلمة) شيء موجود ممتاز عن الله امتياز الأشخاص بعضها عن بعض وأن هذه الكلمة هي التي أوجدت جميع المخلوقات فزعموا ان المسيح هو الخالق لكل شيء غلوا منهم وافراطاً مع ان الكلمة ليست شيئاً ممتازاً بل لا وجود لها في الحقيقة إلا إذا أريد بها القدرة وهي إحدى صفات الله تعالى وليس من المعقول أن الصفات تكون أشخاصاً

(١) راجع كتابنا (الخلاصة الرهانية على صحة الديانة الاسلامية) المطبوع لأول مرة

سنة ١٣١٦ هجرية

## ١) المارج ٨م ١٥) كلمة الله وروح القدس . الاسماء المجازية ٤٩٥

( أو أقانيم ) ممتازة بعضها عن بعض قائمة بذاتها بل هي صفات لا تقوم إلا بالذات العلية والفرق بينها وبين الذات الالهية في السكنة والمماهية كما تفرق بين الجوهر والمرض والصفة والموصوف . فكيف إذا يكون الأب ( وهو الله ) مثل الكلمة والروح ؟ ولماذا لم تجمل الصفات الأخرى لله تعالى ( وهي أكثر من ثلاثة ) أقانيم أيضا كالعلم والارادة والسمع والبصر وغيرها ؟

وإذا كان الابن خالقا لكل شيء فما وظيفة الأب إذا ؟ وأي شيء خلفه روح القدس إذا كانت هي المرادة بقول داود ٣٣ : ٦ ( بكلمة الرب صنعت السموات وبِنَسَمَةٍ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا ) كما يزعمون ؟ فما هي الجنود التي صنعتها الروح إذا صح أن كل شيء بالابن كان وبغيره لم يكن شيء مما كان كما قال يوحنا ( ١ : ٣ ) ؟

ومن المجاز أيضا إطلاق كلمة ( وحي ) على ( الموحى ) كما في أشعيا ( ١ : ١٣ ) وإطلاق كلمة ( الخلق ) على ( المخلوق ) والارادة على الشيء المراد كما في قول المسيح لو ٢٢ : ٤٢ ( ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لإرادتي بل إرادتك ) أي ليسكن الشيء الذي تريده أنت لا ما أريده انا وبمثل تعبيرنا قل هذا القول مرقس في انجيله ( ١٤ : ٣٦ )

ومن المبالغة المعتادة تسمية الشيء الجليل بالجمال والحسن بالحُسن ونحو ذلك كثير . ومن الناس من سمي ( رحمة الله ) و ( نعمته ) و ( حزقيال ) أي بصر الله و ( عزري ) أي عون الله . وقد سمي احد انبياء بني اسرائيل ( بحزقيال ) ومعناه ( قوة الله ) وهو البالغ في الدلالة على القدرة على الخلق من تسمية المسيح ( بكلمة الله ) فان الكلمة تطلق على معان أخرى منها - كما قلنا - أحكام الله وشرعيته ولذلك سميت الوصايا العشر بالكلمات العشر ( تث ١٠ : ٤ ) . فبل يصح أن يقال من أجل ذلك إن ( قوة الله ) أو قدرته تجسدت حقيقة ونزلت إلى الارض وظهرت للناس كما قال يوحنا في حق المسيح لأنه سمي بكلمة الله ( يو ١ : ١٤ ) ؟ ولماذا اختص حزقيال بهذا الاسم دون سائر الانبياء ؟ وأي فرق بينه وبين تسمية المسيح بالكلمة ؟ الحق ان النصارى أخذت مذهبها



في (الكلمة) من مذهب الرواقين فيها فان مذهبيهما واحد. والرواقيون هم أتباع الفيلسوف ( زينون ) اليوناني الذي عاش من سنة ٣٤٠ الى ٢٦٠ قبل الميلاد وكان يعلم فلسفته في رواق شهير بأثينا وكان يعتقد أن الكلمة ( Logos ) هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه ومن ذلك نشأ مذهب النصارى في القرون الاولى فقالوا إن الكلمة صارت جسدا وحلت بين الناس وكانت موجودة في الازل وهي التي خلقت كل شيء !! وبذلك تقربوا من الرومانيين حتى دخلوا في دينهم فأوجبا أفعال الان الفلسفة اليونانية كانت هي السائدة على عقولهم ومعتقداتهم ولذلك ترى ان المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى أن تعظيم يوم ( الاحد ) بدل ( السبت ) مأخوذ عنهم كما سنعلم ويجوز ان المسيح ما كان يسمى بالكلمة في عصره وإنما سمي بذلك فيما بعد في انجيل يوحنا اخذنا عن الفلسفة اليونانية ولما جاء القرآن اخذ هذا الاسم عن النصارى وأراه كيف يمكن تحويل المراد منه عندهم الى معنى صحيح غير ما يفهمونه يناسب عقيدة القرآن في المسيح عليه السلام من أنه عبد الله ورسوله المخلوق بكلمة الله وقدرته فيكون ذلك من ضمن اسباب تسميته على افراد بالكلمة في القرآن هذا واعلم ان امتياز المسيح أو غيره ببعض الاشياء أو اختصاصه بها لا يدل على أنه أفضل من جميع الأنبياء كما أن امتياز ابراهيم بكونه خليل الله وموسى بكونه كلم الله وبكثرة الآيات والمعجزات وعظمها ووضوحها لا يدل على أنه أفضل من المسيح مثلاً بل ان اشتهار الخليل بهذا الاسم لا يدل على أن ليس هناك لله خليلاً مثل ابراهيم . أرايت اذا فاق أحد التلاميذ في علم ما من العلوم جميع أقرانه فهل يستلزم ذلك أنه اعلمهم في كل شيء وأولهم وأرقاهم ؟ كلا !!

### ﴿ المسألة الثانية ﴾

« في قضى النصارى ناموس الله »

من العجيب أن النصارى تركوا قول المسيح بعدم تقضيه الناموس ( متى ٥: ١٧ ) واتبعوا أهواءهم وأقوال بولس وأضرابه حتى أطلقوا لأجلها جميع شرائع التوراة

## (التاريخ ١٥ م ٨) قس النصارى في السبت والختان ٥٩٧

ولم يعملوا بواحدة منها كما أمروا في أسفار موسى فتوهم مثلاً تركوا تنظيم اليوم السابع الذي باركه الله وقدمه (تث ٢: ٣) وأمرهم بحفظه (تث ٥: ١٤ وخر ٣١: ١٥ و٣٥: ٢ و٣) وجعله فرضاً أبدياً عليهم (خر ٣١: ١٥ - ١٧) وأوجب عليهم أن لا يعملوا أي عمل فيه وأن لا يشعلوا نارا في مساكنهم وأن يقتلوا كل من خالف هذه الأوامر (خر ٣٥: ٢ و٣) فاستبدلوا اليوم الأول (الاحد) باليوم السابع ومع ذلك لم يحفظوه أيضاً كما كان يحفظ السبت موسى وعيسى والانبياء ففي أي موضع من الانجيل أبطل المسيح (أو تلا ميذه) يوم السبت بالاحد وأجاز لهم العمل فيه ومخالفة أوامر التوراة؟ ولماذا لم يتم عليه السلام من الموت في اليوم السابع (السبت) حتى يتفق سبت النصارى مع سبت اليهود الذي قدمه الرب قديماً؟ ولماذا لم يقدس الله يوم الاحد منذ البدء ويجعله هو يوم الراحة للأمم ليكون ذلك إشارة إلى قيامة المسيح المزعومة في ذلك اليوم الذي لم يعرف تنظيمه في الكتب الالهية القديمة بل كان يعظمه بعض الوثنيين الذين خصصوه لعبادة الشمس - أعظم آلهتهم - ولذلك سموه ويسمى عند بعض الأمم الآن (يوم الشمس) (Sunday) فالنصارى تركوا أوامر الله التي في التوراة واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم !! وكذلك تركوا الختان وهو فرض عليهم في الشريعة الموسوية (لاو ١٢: ٣) وجعله الله علامة عهد أبدي بينه وبينهم وأوجب قتل كل من نكث هذا العهد ولم يختن في لحم غرله (تث ١٧: ٩ - ١٤) وقد ختن عيسى عليه السلام نفسه (لو ٢: ٢١) ولكن بولس - وهو لم ير المسيح في حياته - قال لهم (غلا ٥: ٢) (ان اختلفتم لا ينفعكم المسيح شيئاً) وقال (كو ٢: ١٦) «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت» فهم لذلك تركوا جميع أحكام الناموس ولم يبالوا بهامع أن المسيح لم يأت لينقضها - كما قال - ولكنهم رجحوا أقوال بولس هذه على أقوال الله ورسله وتمسكوا بتأويلات ضمنية ركيكة مضحكة ليعتدروا بها عن إبطال تنظيم اليوم السابع والختان في لحم الفرة وغيرها من أحكام الله مع أن حكمهما كان عليهما فرضاً أبدياً كما بينا. فلا أدري كيف إذاً أبطلوه وإذا كانوا هم أنفسهم لا يعملون بأحكام هذه الكتب فما فائدة إيمانهم بها وإذا يريدون أن يعمل المسلمون



## ٥٨ التاويل . الشريعة الموسوية والنسخ ( المارج ٨ م ١٥ )

بهذه الشرائع التي هجروها وأبطوها؟! وما الداعي الى المناقشة بيننا وبينهم في هذه الكتب والحال أنهم قد تقصروا ولم يمتأروا بها؟

ومن أغرب أمورهم أن كل كلام لم يوفق أهواءهم لجأوا الى تأويله وباب التأويل عندهم واسع جدا يدخل فيه كل مكبرة وتحريف تلاصل . ولا أدري أي كلام كان يمكن لموسى أو غيره أن يقوله لهم حتى يوقف سير تأويلاتهم هذه الفاضحة الخزية وحتى يعترفوا بأنهم مكابرون معاندون لله وأشرائعه؟

فانظر مثلا الى تأويلهم في مسألة حفظ اليوم السابع ( السبت ) ومسألة الختان الجسداني ترّ العجب العجيب الذي تضحك منه التكملي فما أعجب عقولهم وما أغرب أفهامهم . والله لولا أننا نراهم بأعيننا ما صدقنا بوجود أمثالهم بين البشر

وقد غر طائفة المبشرين ما وصلت اليه أوربة من العلم والمدنية مع أنها ما وصلت الى ذلك بمثل هذه الافكار القيسية ولا بعقائدهم الدينية المصادمة للبداهة العقلية، بل وصلت الى ذلك باتباع أحكام العقل والحس والوجود والدرس والبحث وبعد أن نبذت الخزعبلات والجمود وهذا الدين وراءها ظهريا . والا فقل لي بأبيك في أي شيء يتفق الدين الذي يأمر بالابتعاد عن الدنيا وزخرفها مع تلك المدنية الاوربية المادية؟ وأي شيء عمله دول أوربة اليوم وفق تعاليم الدين المسيحي؟ الحق إنه لا يوجد بينهم وبين المسيحية علاقة تذكر الا بالاسم فقط كما لا يخفى على أهل البحث والنظر . ولا تنس أن أكثر أهل العلم في أوربة ماديون ملحدون فكان الواجب على جماعة المبشرين أن يهدوهم الى دينهم ويحثوا أممهم على العمل به قبل أن يأتوا الى المسلمين . وبعد ذلك يعمل هؤلاء المبشرون انفسهم بناموس موسى ثم يدعون المسلمين للاخذ بهذه الكتب المهجورة من جميع أصناف الناس حتى أتباعها فان قيل : إذا كان بعض الشرائع حكمها أبديا في شريعة موسى فكيف اذا نسخ في شريعتنا الاسلامية؟

فالجواب : (١) نحن لانسلم بجميع ألفاظ هذه الكتب اذ يجوز عندنا أن نبضها زيد أو نحرف سهوا أو قصدًا - كما بينا - ولا يخفى أن اليهود كانوا يظنون أنهم وحدهم شعب الله الخاص وأن دينهم وملصكهم باق الى الابد فلا عجب اذا

## (المنار ج ٨ م ١٥) الفسخ وأبدية الشريعة الموسوية ٥٩٩

دخل في كتبهم شيء من هذه الأفكار المتعلقة بدوام ملكهم ودينهم ومدى بقائهم (أورشليم) إلى الأبد كما قيل عنها في كتاب إرميا (٣١ : ٣٨ - ٤٠) (لا تطلع ولا تهدم إلى الأبد). وليلاحظ القارئ أن لفظ الأبد بالنسبة للأحكام يندرج وجوده في سفر التثنية وهو السفر الذي ترجح سلامته من الفساد الكبير كما سبق.

(٢) لعل دوام دينهم كان مشروطا باستقامتهم وحفظهم له ولمهد الله فإذا نقضوا عهد الله نقض الله أيضا عهدهم وأبطل دينهم كما فعل بملكهم الذي علق دوامه على صلاحهم ونقاوتهم - كما بيناه سابقا - ولذلك قال في إرميا ٣٣ : ٢٠ و ٢١ (إن نقضتم عهدي ..... فإن عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن يسكن على كرسيه ومع اللاويين الكهنة خادمي) أي يبطل ملكهم وشريعتهم (راجع أيضا ٢ أي ٧ : ١٩ - ٢٢ ولا ٢٦ وتث ٢٨ وغير ذلك)

أما إذا استقاموا وكان الله حقيقة وعدهم ببقاء بعض أحكام شريعته إلى الأبد فمن الجائز أن الله تعالى ما كان يفسخ هذه الأحكام ويبقيها في الشريعة الإسلامية كما هي أو مع بعض تحوير فيها لا يغير جوهرها ويزيد عليها ما شاء وينقص منها ما لم يكن حكمه أبديا

لكن الله تعالى علم أنهم لن يستقيموا ولا بد أن ينقضوا عهده ففقد في علمه الأزلي أن يبعث رسولا من أخوتهم بني إسماعيل بشريعة غير شريعته وأخبرهم بذلك وأوجب عليهم اتباعه حينما يبعث (تث ١٨ : ١٥ - ٢١) وقد ظهر تمردهم وعصيانهم في زمن موسى نفسه حتى ساء لهم (شعبا صلب الرقبة) لشدة عنادهم (تث ٩ : ٦) وانذرهم بالابادة إذا عبدوا غير الله وعصوا أوامره (تث ٨ : ١٩ و ٢٠) وقد كان ذلك كله فعصوا الله فأبادهم ونسخ دينهم بدين الإسلام وأعطى أرضهم التي كانوا وعدوا بها إلى الأبد (تث ٤ : ٤٠) للمسلمين الذين قال فيهم المسيح لليهود (متى ٢١ : ٤٣) (إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) ولا يصح أن يراد بذلك أمة الرومان فإن الأرض المقدسة كانت إذ ذاك خاضعة لهم ولم تكن لهم لمسيحيه شيئا جديدا في تلك الأرض التي بقيت في أيديهم مؤقتا حتى أخذها الإسلام منهم ولا نزل تابعة له إلى اليوم



## ٦٠٥ الأبد النسبي والحقيقي ونسخ شريعة موسى ( المزارج ٨م ١٥ )

فكان الرومانيون أخذوها من اليهود ونزعوها منهم لا لأنفسهم بل ليسلموها للصليبين ( العرب ) أصحاب الحق فيها بعد اليهود فان الله تعالى وعده إبراهيم بأن تكون هذه الأرض له ونسله ملكا أبديا ( تك ١٧ : ٨ ) فوهبها أولا لاسحاق ( تك ١٧ : ٢١ وخر ٤ : ٦ ومز ١٠٥ : ٩ - ١١ ) ولما نزعها من يد نسله - لعدم وقايمهم بعهد الله - أعطاها لبني اسماعيل ( العرب ) الذين جعلهم الله أمة كبيرة ( تك ١٧ : ٢٠ ) وصارت يدهم على الكل ( تك ١٦ : ١٢ ) وبذلك أبقي أرض الموعد في نسل إبراهيم إلى الأبد كما وعد تعالى

أما الرومانيون فهم ليسوا من نسله وليسوا أهلها بل كانوا كالمحتلين لها مؤقتا إلى زمن العرب أربابها بوعد الله فامتلاّت بهم الآن وستبقى كذلك إلى الأبد كما وعد الرحمن ( أنظرا أيضا دا ٢ : ٤٤ و١٨ : ٧ و٢٧ ) وهم قد بسوا العلي كما سماهم دانيال (٣) لعل المراد بالأبد الأبد النسبي كقولك لشخص (افضل ما أمرتك به دائما أبدا) فالمراد أنه يفضله ما دام حيا فإذا مات فلا معنى لامثال هذا الأمر فكذلك قول الله لهم (افضلوا كذا وكذا إلى الأبد) معناه أن يستروا على فعله ما داموا أمة حية قوية ذات وجود ممتاز فإذا ضعفت أمتهم وتبددت وماتت فلا يمكنهم أن يمثلوا هذه الأوامر بعد أن يتلاشى وجودهم المستقل

فاتباع الشريعة الموسوية كان واجبا على اليهود إلى أن تلاشى استقلالهم وصحيت مدينتهم وهيكلهم بعد المسيح وتبددوا في الأرض واندمجوا في الأمم الأخرى ولم يبق لهم وجود ممتاز حتى صاروا كالشخص الذي مات وتفرقت أجزاؤه ولذلك قال المسيح قبل أن يحصل ذلك إنه ما جاء لينقض شريعتهم بل ليكملها وأنه لا يزول حرف واحد منها حتى يكون أو يكمل الكل ( متى ٥ : ١٧ و١٨ ) أما إذا أكلت هذه الشريعة وتبددت الأمة اليهودية وزالت دولتهم ولم يبق من مدينتهم حجر على حجر ( مت ٢٤ : ٢ ) فينثذ يكون تكليفهم بهذه الشريعة كتكليف الميت بأي عمل بعد موته

فلا سلام لم يأت الا بعد أن أكمل الناموس وبعد أن ماتت الأمة اليهودية موتا تاما. حتى لم تتم شريعة القرآن الا بعد أن محي كل أثر من القوة كان لليهود

## (المنار ج ٨ م ١٥) معنى الابد . إسم الاسلام في كتبهم ٩٠١

في بلاد العرب التي تحضن فيها بعضهم بعد تشتتهم فنجي محمد (ص) بالاسلام كان اذا دليلا على فناء الأمة اليهودية وانمحاء شريعته واناموسها ولذلك قال يعقوب لبنيه انباء عما سيحدث في آخر الزمان (تلك ٢٩ : ١ و ١٠) (لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجله حتى يأتي شيلون (١) وله يكون خضوع شعوب) فاذا جاء ( شيلون ) وهو الاسلام ( أو السلام كما قالوا ) زال ملكهم وشرعهم اما المسيح فما جاء ليزيل شريعته ولا علماءها

ومما يدلك على ان ( الابد ) في التشريع هو الابد النسبي قول الناس ( فلان حكم عليه بالسجن المؤبد ) ويريدون السجن مدة الحياة . على أن الابد المطلق لا يمكن أن يكون مرادا في الشريعة الموسوية بأي حال من الاحوال لأنه من المعلوم لجميع الانبياء أن الوجود في هذه الارض ليس مستمرا إلى الابد بل سينقطع بقيام الساعة فلا يمكن أن يكلفوا البشر بشيء إلى الابد المطلق لان يوم القيامة سينزل كل ذلك . وعليه فالأبد هو قطعا الابد النسبي ( ٢ ) ولا فرق بين حمله على يوم القيامة ( الساعة العامة ) أو على موت الأمة وفنائها وانمحاء كل شخصياتها ومميزاتا ( في الساعة الخاصة ) فان من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الأثر

هذا هو جوابنا على هذا الاشكال . أما النصارى فلا يمكن أن يجيبوا عن هذه الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية بمثل هذا الجواب لانهم ( أولا ) لا يسلطون بتحريف هذه الكتب ولا بدخول بعض الافكار الشائعة بين اليهود فيها كما دخل في العهد الجديد بعض خرافات ذلك العصر المنتشرة بين الناس مثل مسألة

(١) راجع بحث لفظ ( شيلون ) في فصل البشائر الآتي

(٢) مما يدل على ان المؤبد قد يكون مؤقتا قوله تعالى في القرآن الشريف ( وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ) وعليه فجميع الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية هي مؤقتة بمعنى محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله قال لهم ( افعلوا كذا وكذا أبدا حتى يأتيكم رسولي الذي اخبرتكم به فأطيعوه ) أعني أن المراد بالابد الدهر الطويل أو الابد النسبي كما في المتن

(المنار ج ٨) ( ٧٦ ) ( المجلد الخامس عشر )



## ٦٠٢ دخول الشياطين في البشر. التحريف (المنار ٨ م ١٤)

دخول الشياطين في الانسان (١) وخروجهم منه الى غيره وإلى الحيوانات الأخرى وتكلمهم فيه وتسببهم في بعض امراضه الجسدية والعقلية (وثانيا) إنهم لا يقولون بجواز نسخ الشرائع الإلهية عموما (وثالثا) ان المسيح لم يأت لينقض الناموس خصوصا بل ليكملهم فيجب عليهم اذا اتباع كافة أحكام الشريعة الموسوية وعدم تبديل حرف واحد من حروفها وأن يتركوا آراء بولس وفلسفته المعجبية التي تركوا لاجلها حكم الله!! أما المسلمون فانهم يقولون بتحريف هذه الكتب وعدم التعويل على كل لفظ من ألفاظها كما ينهون وينسخ بعض أحكامها . كما قال تعالى ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال في حق محمد (ص) ( وبضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ) وقال ( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ) ( انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ) وقال ( قل لأجد فيما أوحى اليّ محرما على طاعم بطعمه - ..... الى قوله - وعلى الذين هادوا حرما كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرما عليهم شحومهما الا ما حمات ظهورهما ( ٢ ) - الى قوله - ذلك جزيناهم بيغيهم وإنا لصادقون )

(١) حاشية : قول القرآن الشريف ( لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ) لا يقتضي وجود ذلك بالفعل في الخارج فان من المشبه به ما لا وجود له الا في الذهن والخيال كقوله تعالى ( ظلها كانه وؤوس الشياطين ) وكقول الشاعر : -

أقتلني والمشرقي مضاجمي ومسنونة زرق كانياب أغوال

فكذلك قول القرآن هذا فان المشبه به فيه هو من متخيلات الرب وسائر الامم وبلاد به النشيم والتقيج ومثله بوجود في اعظم الكتب العلمية في أية لغة كانت ولا يستفاد منه أن الشيطان له هذا التأثير في الانسان ولذلك قال تعالى ( ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ) ونحوه كثير في القرآن ومن المجيب ان القرآن يذكر معجزات المسيح مرارا وتفصيلا ومنه ذلك لم يذكر منها ( اخراج الشياطين ) وجيم الانجيل منعمة بها حتى الابوكريفة وأذهان الامم ممثلة بها فكيف سلم القرآن من هذه الحرافات التائمة بين جيم الناس حتى أهل الكتاب لولا أنه وحي الله ؟

(٢) حاشية : ينهم من هذه الآية الترفقة حل بعض أجزاء من التحم لليهود. ولكن الذي ينهم من سفر اللاويين ( ٣ : ١٦ و ١٧ و ٢٣ : ٢٥ ) هو تحريم كل جزء من أجزاء الشحم فلا بد أن يكون هذا من تحريف الكهنة ليأخذوا كل الشحم من الناس بدعوى ايقاده على المذبح ( كما في لا ١١ : ٣ ) ثم يبقوا منه شيئا لا تقسمه . أو يكون هذا الحكم نسخ فيما بدعي زمن موسى أو غيره من أنبياء بني اسرائيل ( أنظر نحميا ٨ : ١٠ ) كما حرّموا استرقاق العبراني =

## ( المارج ٨م ١٥ ) حل الشحم والخرة وتحريمهما في القرآن وفي كتبهم ٦٠٣

فالمسلمون انما تركوا شريعة الله الموسوية لأوامر صريحة في كتابهم الالهي

= مطلقاً بعد موسى بستين عديده وكان مباحاً لهم في زمنه ( تث ١٥ : ١٢ — ١٨ ) وأما  
حصل خطأ في هذه الشريعة أثناء نقلهم لها في تلك الصور المظلمة الطويلة أو أثناء ارتدادهم عنها  
لعبادة الاصنام مرات عديدة في سنين كثيرة ولو أراد انبياؤهم اصلاح ذلك حينما يرجعون  
اليها لمارضهم السكنة وغيرهم لمصلحتهم الشخصية واسكنوا دماءهم فانهم كثيراً ما قتلوا الانبياء  
والرسل ( أنظر متى ٢٣ : ٣٠ — ٣٧ ) كلما أرادوا اصلاح احوالهم وأمورهم  
ولا يستبعدن القارىء وقوع مثل هذا الخطأ في هذه الكتب مع كثرة الانبياء فيهم فقد  
وقع فيها غيره سهواً أو قصداً عما ينهوا وما لم ينهوا كسألة اجترار الارنب الجيلي ( لا ١١ : ٦ )  
وسألة برص الثياب وبرص البيوت ( لا ١٣ و ١٤ ) ولعل هذه المسألة الاخيرة هي أيضاً من  
وضع السكنة لمصلحة لهم فيها ولم يتمكن الانبياء من ازالتها كما لم يتمكن منهم عن عصيان  
الرحمن وعبادة الاوثان

والذي يدلك على أن بعض الشحم أحل لهم كما قال القرآن وأن النص على تحريم الشحم  
أما أنه محرف أو منسوخ قول سفر التثنية (وهو أصبح هذه الاسفار على مذهبنا) في نعم الله على بني  
اسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر ما يأتي تث ٣٢ : ١٠ ( وجده أي اسرائيل والمراد  
بنيه ) في أرض قفر وفي غلاء مستوحش خرب ..... ١٢ هكذا الرب  
وحده اقتاده وليس معه إله أجني ١٣ أركبه على مرتفات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضه  
ملا من حجر وزيتاً من صوان الصخر ١٤ وزبدة بحر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش  
..... وتيوس مع دسم لب الخنطة ودم الغنم شربته خراً ) فإذا كان كل الشحم محرماً  
عليهم كما في سفر اللاويين فكيف إذا آمن الله عليهم في سفر التثنية وهو آخر الاسفار الموسوية  
وأصحها باطمئنانهم وهم في البرية شحم الخراف والكباش والتيوس ؟ ألا يدل ذلك على صحة قول  
القرآن الشريف في هذه المسألة وخطأ كتبهم الاخرى فيها ؟ والا فكيف يمكنهم التوفيق بينها  
لازالة هذا التناقض ؟

والعبارة الاخيرة من سفر التثنية وكذا غيرها ( تث ١٨ : ٤ ) تدل على حل الخمر لهم وان  
كان شربها حرم على السكنة فقط عند دخولهم خيمة الاجتماع ( لا ١٠ : ٨ — ١١ ) وكذلك  
المسيحية فيها ما يدل على حلها للناس ( راجع يو ٢ : ١ — ١١ ولو ٢٢ : ١٤ — ٢٣ )  
ولذلك فانا نفخر بأن الاسلام هو الدين الوحيد الذي حرم الخمر تحريماً باتاً وكذلك سائر الحوائث  
وأحل الطيبات جيئاً ولولا النصارى لما انتشر شربها بين بعض المسلمين فانهم هم الذين حلوها  
الينا مع ما حلوه من موبقات مديهم الاخرى كالاعتجار والقمار والربا والرقص والحلاعة  
والفسق والفجور

أما لفظ السكر ( بفتح السين ) الوارد في القرآن في سورة النحل ( ١٦ : ٦٧ ) فالاصح  
أنه سكر الفاكة ( بضم السين ) المسمى عند الافرنج ( Laevulose ) أو هو لفة في السكر ( بضم  
السين ) مطلقاً فان كلاً اللفظين معرب من كلمة ( شكر ) الفارسية بابدال الشين سيناً كما هو المعتاد في  
معرب بعض الافات الاخرى الشرقية كموشى العبرية وموسى العربية وغير ذلك كثير وقيل السكر الخل  
وإذا سلم أن السكر ( بفتح السين ) هنا هو السكر فقوله تعالى بعده ( ورزقاً حسناً ) يدل على أن السكر =



## ٦٠٤ التحريف الظاهر في كتب النصارى واليهود ( المارج ٨ م ١٥ )

وأما النصارى فتركوها لغير أقوال المسيح نفسه القائل إنه لم يأت لينقضها بل ليكملها ،  
ومما يزيدك يقيناً بأن قول المسلمين بالتحريف في نفس مسألة الابد (١) هذه  
وفي غيرها ليس أمراً نظرياً ظنياً بل هو حقيقة واقعية - ما جاء في رسالة بطرس الاولى  
قال فيها ١ : ٢٣ ( مولودين ثانية لا من زرع يلقى بل مما لا يفتى بكلمة الله الحية  
الباقية « الى الابد » ) فقول « الى الابد » لا يوجد باعترافهم في أقدم النسخ  
وأصحبها التي عثروا عليها . راجع الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٠٩ ميلادية في  
المطبعة الامريكانية في بيروت نجد أن هذه العبارة موضوعة فيها بين قوسين للدلالة على  
ما قلنا كما ذكرنا في مقدمة هذه النسخة . وهذه إحدى التحريفات التي يزعمون  
أنها لا تتعلق بمسائل هامة فما أكبرهم من مكابرين !!  
وكيف بعد ذلك يمكننا أن نثق بأي شيء من قلمهم أو من كتبهم اذا كان  
التحريف فيها من العادات المألوفة لقدمائهم ؟ وكيف نأمن عليها من تلاعبهم  
وإفسادهم لما في غير هذه المواضع التي ظهرت لنا ؟ وهل لا يدل انتشار مثل هذه  
التحريفات في نسخها على صحة قولنا ان هذه الكتب في الازمنة القديمة كان يسهل  
على أصحابها تبديلها وتحريفها ؟

ومن العجيب أنك ترى النصارى بعد ذلك يدعون المسلمين لترك دينهم واتباع  
آراءهم وأهواءهم المخالفة لما جاء به موسى وعيسى وسائر انبياء بني اسرائيل !! فأي  
محاربة لله ولرسله ولكتبه أكبر من ذلك ؟ وهل بعد ذلك يعقل أنهم به مؤمنون ؟  
وقد بينا لك فيما سبق أن عقائدهم لم يأت بها النبيون وأنهم فيها لاحكام العقل  
هادمون وقد أريناك هنا أنهم لشريعة الله محاربون وكتبه محرقون !! فبأي شيء  
من دين الله بعد ذلك يتمسكون ؟ واليه يدعون ؟ وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟  
( بتلى )

= ليس وزناً حسناً لأن الأصل في المظن أن يفيد النافذة وهذه الآية المشار إليها هنا تركت قبل  
التحريم البات فإن الجزم حرمت تدريجياً لحكمة لا تخفى على المفكر ، والتحريم التدريجي نوع  
والنسخ شيء آخر فلا منافاة بين ذلك وبين مذهبنا في ( النسخ والنسخ )  
(١) حاشية : جاء في سفر الخروج ١٦ : ٢١ ( وثقب سيده أذنه بالثقب . فيخدمه الى الابد )  
والمراد أن العبد ينضم سيده الى المات . وهو عين ما قلناه آنفاً في معنى الابد . وهذا المعنى أيضاً  
ورد في سفر صموئيل الاول ١ : ٢٢

## الغارة على العالم الاسلامي<sup>(\*)</sup>

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٨

﴿ مؤتمر لکنہو سنة ١٩١١ ﴾

مقدمة المجلة التراسوية :

عقد مبشرو البلاد الاسلامية من البروستان المؤتمر الثاني العام بمدينة هم في ( لکنہو الهند ) يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١ أي بعد خمس سنوات من انعقاد مؤتمر القاهرة

ومعلوم أن المبشرين كانوا قد تفاوضوا في ( مؤتمر أدنبرج ) بمسألة مقاومة الاسلام ودرسوا وسائل مناضلته من كل الواجهة . ولما عقدوا مؤتمر لکنہو ارتاحوا لما رأوا من نجاحهم واشتركوا مع رئيسهم القسيس « زويمر » في معرفة موقف الاسلام وقوته وأسبابها . وأظهروا استعداداً لتطبيق أعمالهم على الحالة الخاضعة . والظاهر من مطبوعات البروستان ومنشوراتهم انهم يتذرعون بالتؤدة في بذل المجهود لمعرفة موقفهم وميدان عملهم ودرس محاسنها وهم لا يدعون شيئاً من هذا القبيل . ومنشأ هذا التضامن في جماعة المبشرين البروستان هو المواهب العملية التي امتاز بها الأنجلوسكسوني والمزايا النظامية التي اخص بها الجرمان . ثم قالت هذه المجلة : طلبنا من القسيس زويمر أن يوافينا بما يخص أعمال المؤتمر أثناء انعقاده فأجابنا الى طلبنا وأرسل لنا مجموعة تضمنت أبحاث المبشرين في ذلك المؤتمر .

(\*) تأييد لما نشر في الجزء السابع ص ١١



برنامج المؤتمر وترتيبه :

انعقدت جلسات المؤتمر في باحة مدرسة « ايزابلا ثوربون » البروتستانتية الخاصة بالبنات وامتدت الى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١ وهو ثاني مؤتمر خاص بالاسلام . والاول هو مؤتمر مصر الذي عرفه القراء

والذي يدخل الى باحة ذلك المؤتمر يرى جدرانها مستورة بالحرائط والاحصائيات التي يتبين منها مبلغ اتساع نطاق الاسلام وارتقائه وتقدمه في الايام الاخيرة . وعلى المنصة التي امام الرئيس كرة أرضية مجسمة وعليها هلال و صليب . أما المقصود من هذا الرمز فظاهر ومفهوم .

وفي جانب الباحة غرفتان عرضت فيهما الغرائب المتعلقة بالاسلام مع مطبوعات جمعية التوراة التبشيرية والمظنون ان هذا المعرض سيبقى تحت مراقبة لجنة مواصلة اعمال مؤتمر مصر .

واشترك في المؤتمر ١٦٨ مندوبا و ١١٣ مدعوا عن ٥٤ جمعية تبشيرية ونزل كل هؤلاء ضيوفا على مبشري لسنهوه .

وبين المشتركين في المؤتمر القسيس زويمر - الذي تقول عنه المجلة الفرنسية انه الرجل الذي لا يهرم لانه درس الاسلام سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول بين الشعوب الاسلامية التي يحبها حبا جما : - ولم يكن القسيس زويمر رئيسا للمؤتمر فقط بل كان مديره الروحي أيضا .

ومن هؤلاء المشتركين الدكتور ( وينبرخت ) الجرمانى الانكليزي المشهور والدكتور ( وهري ) صاحب التعليق المعروف على القرآن . ومن المنتصرين الذين حضروا المؤتمر ( متري افندي ) الشاب المصري الذي يدير جريدة عربية والتذلفت ( احسان الله ) والمبشر ( أحمد شاه ) الذي يحسن معرفة الاسلام وهو واضع ( قاموس القرآن )

ومنع الصحافيون الانكليز والاميركان من حضور جلسات المؤتمر ولم ترسل لهم مذكراته الا بعد ان عنت لجنة القرارات بتنقيحها ،

وكانت مجلة العالم الاسلامي الانكليزية - التي يصدرها رئيس هذا المؤتمر - قالت قبل ان تذكر ماجرى في لكنهو : « تمخض الاسلام في السنوات الخمس التي أعقبت مؤتمر مصر بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير ففيها حدث الانقلاب الفارسي والانقلاب العثماني وما نتج عنهما - وفيها انتهت مصر لحركتها الحاضرة - وعني المسلمون بمد السكة الحجازية - وتأسست في الهند مجالس ادارية وشورية وكان في قوانين انتخاباتها امتيازات للمسلمين - ودخلت الامور الاسلامية في قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادئ الاسلام - والمسلمون يحاولون احياء دينهم في الصين - وانتشر الاسلام في افريقية والهند الغربية والجزائر الجنوبية كل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجهد وتنظر في أمر التبشير المبشرين بكل عناية. وعلى ذلك فيشمل برنامج مؤتمر لكنهو الامور الآتية:

أولها - درس الحالة الحاضرة

ثانيها - انماض الهم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي

ثالثها - اعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

هذا ما نشرته مجلة الرئيس عن مواد نضمها برنامج المؤتمر . أما البرنامج نفسه فقد عرض على المؤتمرين بعد قراءة الخطب الافتتاحية وانتخاب اللجنة وتلاوة تقارير لجنة مواصلة أعمال مؤتمر مصر وهذه مواد :

الاولى - النظر في حركة الجامعة الاسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها بين مسألة تنصير المسلمين

الثانية - النظر في الانقلابات السياسية في العالم الاسلامي وعلاقتها بالاسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها .

الثالثة - موقف الحكومات ازاء ارشاليات تبشير المسلمين

الرابعة - الاسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .

الخامسة - تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة

لذلك . والبحث في الدروس الاعدادية ودروس التبشير . وتأليف الكتب

للمبشرين وللقراء المسلمين



## ٦٠٨ خطبة الرئيس الافتتاحية . الإحصاءات الإسلامية ( المار ج ٨ م ١٥ )

- السادسة - حركات الإصلاح الديني والاجتماعي .
- السابعة - الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات
- الثامنة - الأعمال النسائية
- التاسعة - القرارات العملية وتقارير اللجان المايمة للمطبوعات والمنشورات

### خطبة الرئيس الافتتاحية

افتتح القسيس زويمر مؤتمر لسكنهوا بخطبة أنيقة تكلم فيها على المسائل الإسلامية التي سيتناقش فيها الأعضاء . فقسم خطبته الى أربعة أقسام

الاول - الإحصاءات الإسلامية

الثاني - حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها

الثالث - ما طرأ على الإسلام بعد مؤتمر مصر من الانقلابات السياسية والفكرية

الرابع - الخطة التي اتبعتها كنائس أوربة وأميركة بعد مؤتمر مصر

### الإحصاءات الإسلامية :

قال الرئيس زويمر : ليست لفظنا « العالم الإسلامي » شيئا اخترعه المبشرون للإشارة الى معضلة التنصير العام ، بل هي كلمة دقيقة تدل على موقف حقيقي

ثم أشار الى مجلة العالم الإسلامي الفرنسية وما نشرته عن الإسلام ودخل بعد هذا في موضوعه فقال : ان عدد المسلمين يزيد قليلا على ٢٠٠ مليون ، وذلك بحسب متوسط الإحصائيات الكثيرة التي يتراوح تقدير المسلمين فيها بين ١٧٥ مليونا و ٢٢٩ مليونا .

فمسلمو روسيا وبخارى وخيوة ٢٠ مليونا ومسلمو الصين بين ٥ ملايين و ١٠ ملايين ويزيد عدد مسلمي الهند على ٧٧ ر ٦١ ر ٦٢ ولاحظ أن المسلمين الذين تحت سلطة الإنكلترا أكثر من الذين تحت سلطة أي دولة غيرها في هذه العصور أو في العصور المتوسطة ، ومسلمو المستعمرات الانكليزية والهند يبلغ عددهم ٩٥ مليونا أي انهم يزيدون ٥ ملايين على النصارى الذين يحكمهم الانكليز . ومسلمو الهند الانكليزية آخذون في النمو وقد جاء في كتاب ( الهند وحياتها وأفكارها ) الذي ألفه الدكتور

## (المنارج ٨ م ١٥) احصاء المسلمين واهتمام دعاة النصرانية بانتشار الإسلام ٦٠٩

(جونس) ان عدد المسلمين ازداد في السنوات العشر الأخيرة ٩١ في الالف مع أن زيادة عدد السكان بنسبة ١٩ الالف . وفي جاوه ٦٠٠ ر ٢٧٠ ر ٢٤ مسلم ومسلمو روسية ٢٠ مليوناً وفي السلطنة العثمانية ٠٠٠ ٢٧٨ ر ١٤ مسلم وعدد المسلمين في كل واحد من أقطار مصر وقبرس ومراكش والجزائر وبلاد العرب والافغان وغيرها يتراوح بين ٤ ملايين و٩ ملايين ولا تخلو بلدة في آسية وأفريقية من سكان مسلمين ، وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم في بعض هذه البلاد إلا أن هذه الاقلية في نمو مستمر . وفي بلاد التبت المقفلة أبوابها في وجوه الاجانب ٢٠ ألف مسلم . والإسلام منتشر في السكونغو وبلاد السكاب . وهو في تمام سرع في بلاد الحبشة . ويدور على الأنسة منذ ان عقد مؤتمر مصر أن كثيراً من القبائل النصرانية التي في شمال الحبشة دخلت في الإسلام وإن كانت أسماء أفرادها لا تزال كما كانت من قبل .

والمبشرون المنتشرون على ضفتي النيل وشرقي أفريقية وبلاد النيجر والكونغو يرمون أصواتهم بالشكوى من انتشار الإسلام بسرعة في هذه الأنحاء . وبالرغم من أن انتشاره في الهند الهولندية قد لقي موانع من مجهودات جمعيات التبشير الهولندية والالمانية فهو يتوطد ويثبت هناك لأن المسلمين أخذوا يستبدلون التقاليد الخشوية والحرافية ويتمسكون بمعتقدات قوية ، ففي (صومقوه) اكتمسح الإسلام الأرجاء الوثنية وفي جاوه ظهر بظهور جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الإسلامية ، وكثرة طبع القرآن وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين . وما زال الوطنيون يدخلون في شبكة الإسلام الى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجاً .

وفي أميركة عدد كبير من المسلمين لا يستهان به لأنه صار ٥٦ ألفاً وفي مستعمرة (لاغوبان) الانكليزية فقط ٢٢ ألفاً منهم وفي أميركة الوسطى ٢٠ ألفاً . والبلاد الإسلامية التي لم يدخلها المبشرون البروتستان هي التركستان الروسية وفيها خمسة ملايين من المسلمين وخيره وفيها ٨٠٠ ألف وبخاري وفيها ١٢٥٠٠٠

(المنارج ٨) (٧٧) (المجلد الخامس عشر)



## ٦١٠ الانقلابات السياسية والجامعة الإسلامية (المنارج ٨ م ١٥)

والافغان وفيها ٥ ملايين وبرقة ( بني غازي ) وفيها ١٠٠٠ ر ١٠٠٠ وتونس وفيها مليون ووهران وفيها ١٠٠٠ ر ١٣٠٠٠ وريف مرا كش وفيه ١٠٠٠ ر ٢٦٠٠ وفي وادي مولويه وصحراء مرا كش يتنافس الاسلام والنصرانية في الاستيلاء على الوثنية . ونجد والحجاز وحضرموت لا يوجد فيها مبشر واحد وجزائر ماليزيه وفيها أكثر من مليون مسلم خالية من ارساليات التبشير

### الانقلابات السياسية والجامعة الإسلامية

انتقل الرئيس زويمر في خطبته الافتتاحية الى قسمها الثاني الخاص بالانقلابات السياسية التي حدثت أخيرا في العالم الاسلامي فشكر الله على حدوث هذه الانقلابات في غرب آسية إذ كانت موجبة للاعجاب والاستغراب وبددت معالم التجسس وأقامت الحرية على انقاض الاستبداد وصار التجول في البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع وأصبح عبد الحميد سجيناً في سالانيك . وارتبطت المدينة بدمشق بواسطة السكة الحديدية وتلاًلاً نور الكهر بائية على الروضة النبوية . كل هذا يعد عصراً جديداً في تاريخ آسية الغربية وأفريقية الشمالية وصار مسلمو روسية يحاولون تعزيز حقهم في الدوما ويؤلفون الجمعيات للتدرج في مراقبي المدينة .

إلا أن الفرقة الجديدة في مصر إسلامية محضة يراد بها جعل مصر للمصريين باعتبار أن المصريين مسلمون . ونتيجة ذلك اضطهاد المسيحيين في مصر ( أ ) خصوصاً إذا كانت إنكلترة لا تترك خطتها في ترجيح كفة المسلمين . وان بوادر الانقلابات قد أخذت تظهر في جزائر ماليزية أيضاً فأسس شبان ( جاوه ) جمعية الاتحاد العام ( بوندي أوتومو ) الذي يرمون به الى إحداث ارتقاء اجتماعي واتباع مبادئ الحرية والاستقلال الاداري . وقد فسر القرآن بلغتهم . وتوجد في ( طوكيو - اليابان ) جريدة باللغة الصينية اسمها ( النهضة الإسلامية ) منتشرة في كل بلاد الصين . وجريدة إنكليزية ينشرها مسلم مصري وآخر هندي . وفي ذلك دلالة على مبلغ حركة الجامعة الإسلامية .

## (الناشر ج ٨ م ١٥) الانقلابات الاجتماعية والفكرية الإسلامية ٦١١

واحتلال الجيش الفرنسي لمقاطعة ( وادي ) بأفريقية في العام الماضي أهم حدث سياسي في هذا العصر ، لان وادي كانت أهم مركز في أفريقية للأجبار بالرقيق وانتشار الاسلام ، وعلى ذلك فان هذا المركز أصبح تحت سلطة أوربية تحتفظ به مهما كلفها ذلك . وهذه الحادثة جعلتنا في مأمن من أن تكون وادي بعد الآن مركزا للحركات الحربية ضد الحكومات النصرانية وهي أيضا ستقل نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري والتجاري في الاسلام .

ولم يبق الآن غير ٨٠ و ١٢٨ ر ٣٧ مسلم تحت سلطة حكومات اسلامية . وقد انتقلت السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الإسلامية الى يدا انكلترا وفرنسة وروسية وهولندية . وعدد المسلمين الذين تحت سلطة كل واحدة من هذه الدول يفوق عدد المسلمين الموجودين في كل أرجاء السلطنة العثمانية ، وان عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقب انقلابات قريبة الحصول وبذلك تزداد مسؤوليه الملوك النصارى في مهمة نصير العالم الاسلامي (!)

الانقلابات الاجتماعية والفكرية :

قال الخطيب : ان الاسلام قد بدأ يتنبه لحقيقة موقفه . ويشعر بحاجة الى تلافي الخطر . وهو يتمخض الآن بثلاث نهضات إصلاحية : الاولى إصلاح الطرق الصوفية ، الثانية تقريب الافكار من الجامعة الاسلامية ، الثالثة إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب معقول .

ومصدر هذا الشعور بالحاجة الى الإصلاح واحد ، وهو التغير الذي حدث في الاسلام عندما اكتسحت أهله الافكار العصرية والحضارة الافرنجية ، ولا يمنع هذا أن يكون الشعور مؤديا الى عاطفة الاحتجاج والخذر أو الى التوفيق والتحكيم لان كلا الماطفين تجتزمان عند جعل الاسلام في مستوى الافكار العصرية .

قال ( اسماعيل بك غصبرنسكي ) في جريدته ( ترجمان ) : ان العالم في تغير وارتقاء مستمر ولكن المسلمين لا يزالون منقهرين أشواطا بعيدة



## ٦١٢ الإسلام والحكومات الدستورية ( المارچ ٨ م ١٥ )

وقال ( الشيخ علي يوسف منشي : أهم جريدة اسلامية ) في خطاب ألقاه على جمهور عظيم : ان المسيحيين قد سبقونا في كل شي . فالمسلمون ليس لديهم بواخر في البحر ، وهم غير متبهرين لموقفهم ، ومجهوداتهم متشعبة ، وكل ما يفعلونه أنهم يتشون وراء مرشديهم ولكن بغير اهتمام ذاتي لادراك الامم التي سبقتهم . ومثل كلام هذين الرجلين ماسمعهنا مرارا في الهند وغير الهند .

ثم قال القسيس زويمر : وان نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها لمعرفة مركزها يدعوها الى القسافل عن طريقة التوفيق بين المبادئ الدستورية والمبادئ الدينية وتاريخ الدستور الفارسي وحركة الارتجاع في البلاد العثمانية يؤيدان وجود تباين بين الافكار الديمقراطية ونصوص القرآن ( . . . )

ويمكننا أن نرتاب في صحة التصريح الصادر من شيخ الاسلام عن انطباق تأسيس مجلس المبعوثان العثماني عن النصوص القرآنية ( : ) ومما يؤيد ارتيابنا وقوف المبعوثين المسلمين المعروفين بالتمقي في وجه كل اصلاح يمرض على مجلس المبعوثان والصحف المصرية تدافع عن الفظائع التي أمر بها سلطان مراكش والبدو مخربون السكة الحديدية الحجازية يدعوى أن ( العربات ) المخصصة فيها للصلاة تنافي الشرائع الاسلامية ( : )

وفي العالم الاسلامي الآن حركتان متناقضتان يحمل اياه الحركة الاولى رجال الصوفية والمشايخ في اليمن والصومال والبوادي وشماهم الرجوع الى التعاليم المحمدية ، والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الاصلاح وبشروا الاسلام الجديد في مصر والهند وجاوه وفارس وهؤلاء يبنون أساسهم على وضع الطرق المعقولة والصحف الاسلامية في ( باكو ) تتبع رجال الحزب الثاني الذي يقول ان الجود والخرافات مما طرأ على الاسلام وهو غريب عنها كما أن فظائع دواوين التفتيش في القرون الوسطى ليست مما يأمر به المذهب السكاثوليكي ثم أشار الى كتاب ( حقيقة الاسلام ) الذي ألفه محمد بك بدر المتخرج في جامعة أدنبرج فقال ان هذا الكتاب يدل على أن أشياع الاسلام الجديد ( ! ) يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الغرق .

## (المنار ج ٨ م ١٥) خطة الكنائس بعد مؤتمر مصر ٦١٣

وقال القسيس زويمر بعد ذلك : ان تأويل سورة الكهف وسورة النساء وتطبيقها على مقتضى العقل أمر مستحيل (١) ولو اقتصرنا على مطالعة ما كتب عن الحجاب وتعدد الزوجات في الصحف الاسلامية يتضح لنا أن ما يظهر لنا من وحدة الافكار في الاسلام غير صحيح وهذه الوحدة مهددة بالتزاع والتناقض ولا ريب أن في فارس والسلطنة العثمانية بل والبلاد العربية ألوفا من المسلمين .  
متعنون بصحة النصرانية (١) ومخالفتها للاسلام (٢)

وأشار الى قول الدكتور ( و . شيد ) من أن الاسلام يتحرك في كل قطر بالدينية العصرية ومبادئها . وملاحظته لهذه الانقلابات يتوقف عليها بقاؤه . فقال عن نتيجة ذلك وما اذا كان في الامكنة عبارة تيار الحضارة مع الاحتفاظ بمبادئ القرآن وتعاليمه . وما اذا كان التقدم الاجتماعي والعقلي المجرد من كل صبغة دينية كافيا لسد الحاجة الروحية في الملايين من المسلمين . أو ان العالم الاسلامي - رجاله ونساءه - ينهض من كبوته ليتساق مع عالم المجد الذي أبواه على الأرض يسوع المسيح ابن الله ( : ) (٢)

خطة الكنائس بعد مؤتمر مصر :

وانقل زويمر بعد هذا الى القسم الرابع من خطابه وهو الكلام على الخطه التي اتبعتها كنائس أوربيه وأمريكة بعد مؤتمر مصر . فذكر أن مؤتمر مصر كان فائحة عصر جديد لتنهير المسلمين لانه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مبهلة وموسية . وحث الكتاب على وصف أعمال المبشرين في بلاد الاسلام واستنجد بالكنائس واستعصرها . فحاضت الجرائد والمجلات في مسألة الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي والنهضة المصرية وحركة الجامعة الاسلامية ومكانها من الحالة السياسية الحاضرة . وكل هذه الكتابات التي نشرتها الجرائد أبانت عما يجب أن نعمله في العالم الاسلامي وصنفت الكتب الكثيرة التي براد بها تعريفنا ببلاد الاسلام وحالات المسلمين مثل كتاب ( المشرق الادنى والمشرق الاقصى )

( ) ما أهرأه على الكذب . اح ؟ ( ٢ ) لم يكن للمسيح مدأرضي ولم يترك على الأرض إلا العلية التي كان يقامى بلاياها وويلاتها الى أن قبض ورفع الله اليه  
ملاح



الذي طبع منه ٤٠٠٠ نسخة ومثل كتاب ( اخواتنا المسلمات ) وكتاب ( العالم الاسلامي ) الذي طبع منه ٥٠٠٠٠ نسخة وأكثر هذه الكتب نشر بلغات متعددة . وكتب المبشرون في هذه المدة مقدار عشرين كتاباً بحثوا بها في المعضلة الاسلامية من كل أوجهها وكلها مبنية على بحث واستقصاء . ومن هذه الكتب كتاب ( دين الاسلام ) ( والشعائر الدينية الاسلامية ) و ( الاسلام والنصرانية في الهند والشرق الاقصى ) و ( صليبو القرن العشرين ) و ( مصر والحرب الصليبية ) و ( الاسلام في الصين )

وختم القسيس زويمر خطابه الافتتاحي بقوله : اذا نظرنا الى البلاد التي يحكمها هذا الدين الكبير المحاصم لنا والى البلاد التي يتهدها بحكمه اياها يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هي رمز لعنصر من المعضلة الكبرى . فراكش في الاسلام مثال للأخطا . وفارس مثال للانحلال . وجزيرة العرب مثال للرقود . ومصر مثال لمجبودات الاصلاح . والصين مثال للاهمال . وجاوه مثال للتغير والاقلاب . والهند مركز التحكك بالاسلام . وأفريقية الوسطى مكان للخطر الاسلامي

والاسلام يحتاج قبل كل شيء الى المسيح ؟ . فهو الذي يرسل أشعة النور الى رراكش . ويبعد الوحدة لفارس والحياة لجزيرة العرب والنهضة لمصر ويرد الى الصين ما أهله الاسلام فيها . وهو الذي يقي لاهالي ماليزية بلادهم ويزيل الخطر العظيم من أفريقية ! ...

بعد مؤتمر مصر

رأى القائمون بمؤتمر لسنهوا أن نقرأ قبل الخوض في موضوعات هذا المؤتمر تقارير اللجان التي تألفت بعد مؤتمر مصر . فقرأ الدكتور ( ويتبرخت ) الالاماني تقريراً عن حالة المؤلفات التي صنفت لتبشير المسلمين . وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جداً باللغات الثلاث التي هي أهم اللغات الاسلامية ويعني بها العربية والفارسية والاوردية . وان قسماً كبيراً من هذه المطبوعات خاص بالبلاد العثمانية ومنها ما تكرر طبعه مثل مؤلفات القسيس ( بفندر ) ومنها ما هو

مكتوب بأسلوب عصري صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الإسلامي يتحرك بالعلوم العصرية . وأهمية هذه المؤلفات كبيرة في الهند لأن الذين يكتبونها هم مسلمو الهند المتصرون مثل ( عماد الدين ) الذي حصل من مدارس انكثارة على لقب ( دكتور ) في اللاهوت .

وبهذه اللغات الثلاث صار يمكن للمبشرين أن يتحركوا بثلاثي المسلمين في العالم . أما الثلث الثالث فؤلف من ١٠ ملايين صيني و ٢٠ مليوناً من السلافيين و ٢٥ مليوناً من السود . وهؤلاء لا توجد في لغاتهم كتب تبشير ثم تليت تقارير أخرى في بيان ضرورة نشر مؤلفات في المناظرات الدينية التاريخية التي تكون مكتوبة بأسلوب عصري على ما تقتضيه حالة المسلمين في مصر والهند وسائر أقطار الشرق . ثم أشاروا إلى مساعدة صحف أوربة الكبرى للمبشرين لاهتمامها بالأمور الإسلامية . ومن أدلة هذا الاهتمام انشاء مجلة العالم الإسلامي الفرنسية (١) ومجلة الاسلام الألمانية ودائرة المعارف الإسلامية التي نشرت ثلاث لغات .

#### الجامعة الإسلامية :

وبعد أن تليت التقارير الكثيرة في موضوعات مختلفة بدأ المؤتمرون بالمسائل التي عقدوا مؤتمروهم لاجلها . وافتتحوا ذلك بمسألة الجامعة الإسلامية فنقدم عنها ثلاثة تقارير : الاول من القسيس ( نلسن ) عن « حركة الجامعة الإسلامية في السلطنة العثمانية » . والثاني من القسيس ( ورنر ) السويسري عن « الجامعة الإسلامية في أفريقية » والثالث من القسيس ( سيمون ) عن « حركة الجامعة الإسلامية في ماليزية » .

قال القسيس نلسن عن الجامعة الإسلامية في السلطنة العثمانية : ان حركة هذه الجامعة قد ضعفت جداً بعد خلع السلطان عبد الحميد ولكن لا تزال في

(١) نقلت مجلة العالم الإسلامي مقدمة النار لهذه المقالات ( الفارة على العالم الإسلامي ) وعقبها بمقال تتصل فيه من الصيغة الدينية وأرسل إلينا أحد أصدقائنا في باريس تلك القطعة وربما عربناها ونشرناها في النار بعد تذييلها بما يقتضي



الاهالي روح تضامن ملازمة للإسلام وهي سائدة بين مسلمي سورية الى درجة تدعو للتبصر في علاقتها بزعماء الفكرة الإسلامية

ثم قال ان الاوف من مسلمي الارض يتجهون في كل سنة الى ( مكة ) ويشربون ماء ( زمزم ) الا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجي و بالرغم من وجود الاتحاد الذي يجعل لفكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية الى حد يستدعي اهتمام المبشرين النصارى والحكومات النصرانية - بالرغم من ذلك وهذا فانه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حي حقيقي في استطاعته أن يجمع شمل السفين والشيعة معا و يضم الاتراك والفرس والهنود الى العرب ليكافحوا ويدافعوا بدأ واحدة على اتفاق وثقة متبادلة (١)

وختم القسيس نلسن تقريره بقوله : « اسمحوا لي أن أقول لكم انه يظهر لي أن اجتماع المسلمين بجامعة إسلامية بكل المعنى الذي يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمي لا ثمرة له غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبي »

وقال القسيس ( ورنر ) عن الجامعة الإسلامية في افريقية : ان مدينة مكة والطرق الصوفية هما من اكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شيء غير اسلامي ، وهذا ما يسمونه بالجامعة الإسلامية وإذا كان في افريقية عوامل أخرى توجب تقدم الاسلام فيها فهي الاحوال

١ ( يعتبر المفرقون الذين يدعون الاتحاد ماذا يقوله المفكرون في شؤونهم بعد أن كان لهم اليد الطولى في إيجاد أسباب هذه التفرقة ويعتبر المخربون ممن يسمون انفسهم بالوطنيين وليعلموا انهم بهذه التفرقة التي يدعون اليها انما يخدمون أوربة السياسية وأوربة الدينية في آن واحد وغاية ما ترمي اليه أوربة هو أن يوجد في الامة أحزاب مثل الحزب الوطني المصري وجرائد مخربة مثل جرائده وجريدة « الجريدة » اذا انها من أهم معاوئ الهدم وعوامل التفرقة وماذا تقول « المجموعة المصرية » والحزب الوطني المصري الآن وقد صرح الانكليز بمزيمهم على جمل الاسكندرية موقفاً دفاعياً بحرياً؟ أئتمنونها ذلك بقوة « المجموعة المصرية » وحياها أم بشعور الشيخ عبد العزيز جاويز واضرابه الذين سالوا بين كثير من قنلاء شبان الحزب الوطني الاسلامي وبين الانتفاع بمواهبهم واستعدادهم وقرقوا شمل الامة بالغش والخداع والتغريب ؟

صالح مخلص رضا

## (المنار ج ٨ م ١٥) الكلام في انتشار الاسلام بأفريقية ٦١٧

المساعدة التي يتصف بها الاسلام ومركز بلاده الجغرافي وارتقاء الشعوب الاسلامية في السودان عن الشعوب الزنجية ثم ان للحالة الاقتصادية والتجارة الداخلية تأثيرا كبيرا على النيجر وبنوية ومقاطعة بحيرة تشاد لان التجارة في هذه الاصقاع كلها بيد القبائل الاسلامية . وأما التجار الأوربيون فيهتمون ببلاد السواحل على الاكثر مع أن تجارة الذهب والملح والحديد والجلود والنارجيل (جوز الهند) ونقل هذه محصولات يستخدم فيه ألوف من الوطنيين الذين يحنك بهم التجار ومن المحقق أن التاجر المسلم يث في هولاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الاسلامي وحضارته الراقية . والحالة في السودان الغربي مثلها في السودان الشرقي

والاسلام في أفريقية صديق آخر يساعد على انتشاره ، ولعلكم تستغربون اذا قلت لكم ان هذا الصديق هو الاستعمار الاوربي ، فان الذي يفعله الاستعمار بعد أن يسلب من الامراء المسلمين سلطتهم السياسية هو أنه يقرر الامن ويهد السبل للمسلمين (١) ، فيعد أن يكونوا منفورين من الوطنيين الوثنيين قبل الاستعمار الاوربي بسبب الاتجار بالرقيق يصبجون بعد منعه أصدقاء لهم فيعامل الفريقان ويتفاهمان بكل حرية ومحبة .

ومن هذا يقين أن الاستعمار يسلب من المستعمرات السلطة الاسلامية السياسية ولكنه يزيد الاسلام نفوذاً فيها .

ثم أسف صاحب التقرير أن المنافع الاسلامية تتم بارادة المستعمرين لانهم يفضلون استخدام المسلمين وتوظيفهم واستشهاد على هذا بقول ( اكسفولد ) مفتش ارساليات التبشير اذ صرح في المؤتمر الاستعماري الالماني بأن الاسلام يتبع خطوات الاوربيين حينما ذهبوا ، فلا توجد نقطة عسكرية أوربية بدون جنود مسلمين ولا توجد مصلحة استعمارية أوربية بدون مستخدمين مسلمين . ولا تكاد توجد مزرعة خالية من حانوت مسلم يبيع فيه ويشترى

وتكلم ( ورتز ) عن المدرسة التي أسستها انكلترا في ( سيره ليونه ) بغرب

(١) كأن الخطيب يود أن لا يكون للاسلام غير الاعداء مثله ويقره أن يكون للمسلمين حرية دينية

(المنار ج ٨) (٧٨) (المجلد الخامس عشر)



افريقية لتعليم أطفال القبائل الاسلامية والوثنية باللغة العربية ، وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظا بمبادئها في الحياض الديني

ثم قال : ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصور الموجودة في كتب دروس الاشياء فلا تأخر ادارة المستعمرات الانكليزية عن استفتاء علماء الاسلام في الاستانة ومصر والهند استرضا لآباء التلاميذ وأقاربهم

ثم أشار الى تقدم الاسلام في افريقية فتساءل عما اذا كان هناك عمل مرتب ويد عاملة على نشره أم أنه ينتشر بطبعه ؟ وأجاب بأن من الصعب حل هذه المسألة، لأن القوات الفعلية التي ينتشر بها الاسلام تختلف عن قوات المبشرين بالنصرانية. ولكن يظهر أن النظام في نشر دين الاسلام أقل مما تتصوره لأن المسلمين يجهل بعضهم أخبار البعض الآخر وأحواله واذا اتفق أنهم اشتركوا في أمر ما فانما يكون ذلك بدون قصد . ومن الخطأ أن يقال ان الجامع الازهر يرسل ألوف المبشرين الى افريقية الوثنية للدعوة الى الاسلام لان الازهر ليس معهد تبشير كما هي مدارس اللاهوت في أوربة ، ويقال مثل ذلك عن كل المدارس الاسلامية في شمال افريقية. ويستثنى من ذلك المدارس التي يديرها مشايخ الطرق في الصحاري وفي السودان وعاد قبل أن يختم تقريره فقال : الا ان هناك قرائن كثيرة تدل على وجود يد تعمل بقصد لنشر الاسلام . فانه يظهر في ربوع افريقية من وقت الى آخر مبشرون منتقلون يدعون المهدوية ويشيرون القن الشديدة ؟ ومن الذي يمكنه أن يبين لنا علاقة أصول الدين بهؤلاء المبشرين المنتقلين ! ولا ريب أن بين ناشري القرآن الكثيرين في افريقية أناسهم أعضاء سريون ينسبون الى طرق دينية

وتكلم بعده القسيس سيمون عن حركة الجامعة الاسلامية في ماليزية فقال : يزعم بعضهم أن الاسلام في الهند تنقصه الحياة وأنه غير مرتب وأنه صياني. ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الاسلام في الهند بمكة . وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر ماليزية الى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير. وأن سلطة النصارى عليهم شيء مؤقت . وسيأتي يوم يجيئهم فيه السلطان العثماني الذي هو أكبر أمير في أوربة ومرتب بأواصر المودة مع أمبراطور المانية فينقذهم من يد النصارى

(المنار ج ٨ م ١٥) عجلة في رحلة الهند . التعليم الديني ٦١٩

عقب حرب دينية . ونحن نرى البوجيين يدهمون الآن كرات سحرية لتستعمل في محاربة هولندية يوم تنشب المعركة المنتظرة  
ولكن عينا يفتني هو لاء آمالهم على الجامعة لاسلامية لان التريية النصرانية قد اثبتت في دمايتهم بفضل مدارس التبشير وباحتياطات استمدتها حكومة هولندية من اصول الدين النصراني ومن شأنها أن تززع آمال المسلمين الباطلة !  
وقال بعد هذا في ختام تقريره : ان العامل الذي جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الاسلامية هو الحق الذي يضمه سكان البلاد الفاتحين الاوربيين ولكن ( المحبة ) التي تبثها ارساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفتح الاجنبي !

## عجلة من رحمة الهذ

( لصاحب المنار )

٢

التعليم الديني في الهند

سألت عن مدارس الحكومة الانكليزية في الهند قليل لي ليس فيها تعليم ديني ابنة فلا يعلم فيها دين الحكومة ولا دين أحد من الاهالي ( كما صر في التبذة الاولى ج ٦ ص ٤٥٥ ) . وبلغني أن المجوس يملكون دينهم في مدارسهم ولم يتسن لي زيارة نبي منها على ما كان من رغبتني في ذلك لما ذكرت من ارتقاء هذه الطائفة في علومها وآدابها وحضارتها وكنت أرى أفراداً من رجالها ونسائها على شاطئ البحر بعد طلوع الشمس يصلون بما يقرءون من الكتب الدينية فما كانت عبادة الشمس والنار والبحر مانعة لهم من الترقى المدني فكيف يمنع منها دين التوحيد والنفطرة ؟  
وكذلك الوثنيون يملكون دينهم في مدارسهم ، وإن أدري اذلك عام فيها وفي جميع فرقهم ام لا . وقد دخلت في آكره مدرسة كبيرة لطائفة السنك فطلعت انهم يعلمون دينهم فيها . وهذه الطائفة صارت تنصدي للدعوة الى دينها ، ولم يكن هذا معهودا عند الوثنيين من قبل ، وبلغني ان بعض الجبهة المتسنيين الى الاسلام قد



اتحلوا الوثنية اجابة لدعاتها ( راجع الجزء السادس ص ٤٥٥ ) ، ولا عجب في ذلك بعد فشو نزغات الوثنية في المسلمين بدعاء احباب القبور واتخاذ قبورهم اوثانا ، واتخاذ نوايت لهم يطوف بها المسلمون الجغرافيون في اسواق مدن الهند وشوارعها كما يطوف الوثنيون بأصنامهم ، حتى صار يصعب على اكثر علماء الاسلام في هذا العصر أن يقيموا علماء الاديان الأخرى بان دينهم يتنازع على اي دين من تلك الاديان ، وكان المميز الأعلى له في أهله التوحيد الخالص الذي لا يتحقق الا بامتثال قوله تعالى « فلا تدعو مع الله احدا » وامثال هذه الآية من الآيات الكثيرة . فاما التوحيد الانساني الذي يظن اكثر المشتغلين بالعلوم الاسلامية انه خاص بالمسلمين فما هو خاص بالمسلمين ، وفي بحثي مع ذلك البرهمني في مدينة ( بنارس ) المقدسة عندهم عبرة للمعتبرين ، فانه زعم ان جميع الملل اخذت التوحيد عنهم لانهم أقدم الأمم فيه ، وأن الأولياء الواصلين من المسلمين إنما يرتقون الى أصل دين البراهمة الذي هو وحدة الوجود كشمس الدين التبريزي ومحيي الدين بن عربي ( راجع ص ٤٥٦ من الجزء السادس ) ، وهو يحفظ كثيرا من كلامهم ويطبقه على دينه ، ولا يرى عبادة بعض المخلوقات التي لها مزبة في نفع البشر تنافي التوحيد والوحدة لانها لا تعبد إلا لأنها مظهر الفيض الالهي كيزعم ، ويؤيد كلامه بنقول عن صوفيتهم وصفوية المسلمين . وقد اسمعني كاهن السنك عند قبر ملكهم في لاهور طائفة من كتابهم المقدس كلها من اعلى الكلام في توحيد الله وتقدسه ( راجع ج ٦ ص ٤٥٥ ) وعزوا كل شيء في الكون اليه ، ولم يعتمد الكاهن اختيار ما قرأه بل فتح الكتاب امامي وقرأ من حيث فتح ، وانك على هذا الكلام المؤثر في التوحيد الخالص ترى نجاح قبة قبر الملك شبه منصة في بناء آخر عليها الصنم ذو الأيدي الثمان الذي يزوره السنك والمسلمون جميعا للاستشفاع به اذا أصابهم مرض الجدري ( وما يؤمن كثرة بالله الاوهم مشركون )

\*\*

اما المسلمون فكانت سوق العلوم الدينية ووسائلها من العلوم العريضة نافقة في كثير من مدنها ثم كسدت مدة طويلة ما كان يظهر فيها الا قليل من العلماء ثم جددها ( ولي الله الدهلوي ) صاحب كتاب حجة الله البالغة بنزوعه الى الاستقلال بالفهم ، واجتباب التقليد الاعمى في كل علم ، وكان له خلائف يسرون على طريقته ثم انحرفوا عنها ، وزجوا أنفسهم في غمرة التقليد اتباعا لجمهور الطلبة وابتغاء مرضاتهم ،

والعلم الصحيح والتقليد المحض ضدان لا يجتمعان ، وأما يجتمع مع التقليد ومخالفه الجدل والمراء ، فزال بذلك العلم الاستقلالي أو كاد ، وضعف ما يسمى بالعلم التقليدي أيضا كما ضعف في سائر الأقطار والبلاد ،

على انني رأيت في مدوسة ( ديوبند ) التي تلقب بازهر الهند نهضة دينية علمية جديدة أرجو ان يكون لها نفع عظيم . وهذه المدرسة لحلفاء ولي الله الدهلوي . وقد اقترحت على علماء هذه المدرسة الأختيار عدة اقتراحات في إصلاح التعليم وزيادة بعض العلوم العصرية في برنامجها ( وهم يطلقون كلمة نصاب في معنى البرنامج او البرغرام في عرف مصر ) وان يجعلوا دراسة الفلسفة اليونانية خاصة بطائفة من الطلبة وهم الذين يراد منهم الإخصاء في العلوم العقلية والفلسفة القديمة وتاريخ هذه العلوم ، وان يخصصوا لكل نوع من العلوم طائفة من طلبة القسم العالي لاجل التبوغ فيها بعد الإكتفاء من غيرها بالقدر اليسير ، ويعدوا بعضهم للدعوة الى الاسلام ، وبعضهم لارشاد عامة المسلمين ، على منهج مدرسة دار الدعوة والارشاد وان يعلموا المتقدمين اللغة العربية نفسها بالتكلم بها والترجمة قبل تعليمهم فنونها والفنون الشرعية المتوقفة عليها ، وحينئذ يسهل عليهم اقتحام العقبة الكؤود في طريق التعليم عندهم وعند سائر الأعاجم وهي قراءة الكتب العربية في جميع العلوم والفنون بالترجمة ، وانني بعد مذاكرة بعض اعلامهم في حال التعليم عندهم خطبت فيهم خطبة طويلة في احتفال عام اجتمع فيه المدرسون والطلبة أودعتها هذه الاقتراحات وغيرها من النصائح التي خطرت على بالي في ذلك الموقف . فرأيتهم قد وافقوني في جميع ما قلته ، بل كانوا قد سبقوا الى الفكر والعمل ببعضه من قبل وأسسوا جمعية دينية للمدرسة سموها جمعية الانصار

ما قرأت عيني بشيء في الهند كما قرأت برؤية مدرسة ديوبند ، ولا سرت بشيء هناك كسرورها بما لاح لها من الفيرة والاخلاص في علماء هذه المدرسة . وكان كثير من اخواني المسلمين في بلاد الهند المختلفة يذكرون لي هذه المدرسة ويصف رجال الدنيا منهم علماءها بالجمود والتعصب ، ويظهرون رغبتهم في إصلاح تعميم نفعها وقد رأيتهم والله الحمد فوق جميع ما سمعت عنهم من ثناء واتقاد ، وأرجو أن يصدق ظني فيهم بانهم من أبعد جميع من عرفت من علماء الاسلام الدينين عن الجمود والغرور . وستكون الصلة بين مدرستهم ومدرسة دار الدعوة والارشاد وجماعتها داعة إن شاء الله تعالى . وسأذكر في الرحلة خبر زيارتي لهذه المدرسة بالتفصيل ، ومنه ما دار



من الخطب هنالك ولا سيما خطبة أحد العلماء في تاريخ المدرسة وسير العلم فيها هذا وإن للعلم الديني بقية في معاهد ومدارس أخرى من المدن الآهلة بالمسلمين كدهلي والسكنوه ولاهور . واني لا أرجو الخير والأصلاح لمدرسة ( فتح پور ) في دهلي مهمة فاطرها سيف الرحمن الأفغاني وغيره وأخلاصه وقد سررت بزيارتي واجتماعي بجمهور العلماء والطلبة فيها ورحب بي بعضهم بخطبة عربية أرجالية فاجتبه بخطبة وجيزة أودعتها من النصائح في اصلاح التعليم وأهله ما فتح الله تعالى علي به هنالك . وحشنتهم على العناية بتعلم اللغة العربية بالقول والكتابة وترك قراءة الكتب بالترجمة فاطهروا الارتياح لذلك

أما مدرسة ندوة العلماء التي أسست لأجل اصلاح التعليم الديني ودراسة العلوم الإسلامية والمصرية كلها باللغة العربية والتي زوت الهند بدعوة جمعيتها وكنت رئيس احتفالها ( اجتماعها العام في هذا العام ) فاني لم أقف على طريقة التعليم فيها ولم أختبر أحداً من طلبتها لأن أيام زيارتي لها كانت أيام عطلة الدراسة واشتغال الناظر والمعلمين بالاحتفال الذي لم يسبق له نظير في كثرة اقبال الناس عليه من البلاد الإسلامية الكثيرة . وقد ارتجى أحد طلبتها خطبة وجيزة بالعربية لم يكن فيها أطلاق لساناً ولا أوسع مجالاً من الطالب الذي خطب بالعربية في مدرسة ( فتح پوري ) في دهلي . وسيكتب لي رئيس الندوة بياناً مفصلاً عن مدرستها ينشر في الرحلة ان شاء الله تعالى يعني أهل الهند بالمعقولات من المنطق والفلسفة القديمة والاصول ففنايتهم بها وبالحديث أشد من عناية أهل مصر والشام ، بل أقول انني لا أعرف أن شعباً من شعوب المسلمين يعني بالحديث كهنايتهم ، فهذا الازهر أشهر المدارس الدينية وأكبرها كاد يكون علم الحديث فيه نسياً منسياً ، ولكن حظ مسلمي الهند من أحاديث الاحكام الفقهية انهم يتكفون تطبيقها كلها على مذهبهم في الفروع والاحكام ما يهييم تطبيقه على النسخ عملاً بقاعدة الكرخي وأمثاله من فقهاء المذاهب وهي : ان كلام أصحابهم ( الحنفية ) هو الاصل وكل من الكتاب والسنة يمرض عليه فان وافقه قبل وسمي حجة له ، وان خالفه أول أو ادعي نسخه ، الا أن يجدوا مطعناً في سند الحديث فانهم يكتفون بذلك أمره كما قال الكرخي . وقد قلت لبعض كبار العلماء في الهند - وقد أنست منه الصلاح والانصاف - أليس هذا عين التحريف المعنوي الذي نهى الكتاب العزيز على أهل الكتاب ؟ فقال : اللهم نعم ، قلت : فام لا تقرأون الحديث وتقررون منهاء بحسب المتبادر من لفظه وتجملونه فوق المذاهب أو يهمل

عنها ؟ قال ان هذا لا يرضي الطلبة ولا يحضرون دروس الحديث الا اذا قرئ على هذه الطريقة . قلت اذا تؤثرن مرضاتهم على مرضاة الحق ؟ قال هذا هو الواقع !! ولكن بعض علماء ديوبند قال انه يسهل تطبيق جميع الاحاديث على مذهب الحنفية بغير تكليف وضرب لذلك بعض الأمثلة . وهذا أغرب كلام سمعته من المشتغلين بالعلم فان المسائل التي اختلف فيها أبو حنيفة مع مالك والشافعي واحمد وغيرهم من أئمة الفقه (رضي الله عنهم أجمعين) كثيرة جداً وهم كانوا أكثر رواية للحديث وكانوا فيه على نسبة تأخرهم فأحمد أكثر رواية من الشافعي والشافعي أكثر رواية من مالك وهذا أكثر رواية من أبي حنيفة . ثم أنهم كانوا أعرق منه في معرفة لغة الحديث لأنهم أصلاء في العربية وهو دخيل فيها ، فإذا فرضنا انه كان أذكى ذهنًا منهم كلهم فلا يقل أن يصل بالذكاء الى أن يكون هو المصيب وحده في جميع المسائل المختلف فيها ولا يتفق لأحد منهم أن يصيب في مسألة ما على سعة علمهم ومعرفة فهم واجتهادهم . ولا يلجأ الى الجواز العقلي وان كان محالاً عادياً في مثل هذا الا الجدل المماري . على أنه مشترك الا لزام فكما يجوز أن يصيب هذا في كل مسألة لانه يمكن بالامكان الخاص بجوز أن يكون ذلك هو المصيب ، ويجوز أن يخطئوا جميعاً ، وكما يجوز هذا عقلاً بجوز شرعاً ان ليس احد منهم مصوباً ، ولكن العقول الموافق لسنن الله تعالى هو أن كل واحد يخطئ ويصيب الا المصوب

لا يتوهم متوهم اني أريد بشيء من كلامي هذا تفضيل بعض هؤلاء الاعلام في اجتهاده على بعض وانما أعتقد أن كل واحد منهم يصيب ويخطئ وان الصواب ليس واجباً لأحد منهم ولا وقفاً عليه ولا لازماً له اذ لا عصمة لأحد منهم . وأما قول بعضهم ان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب . قائما يصح مثله من المجتهد لأن اجتهاده أوصله الى الظن بان ما ذهب اليه هو الصواب ، ومقتضاه أن يظن ما خالفه خطأ ، وكل منهما يحتمل الصواب بطبيعة مفهومه . وأما المقلد فلا مذهب له وانما ينتمي الى المذهب الذي يجد عليه آباءه وقومه فان تحول عنه قائما تحول لمنفعة تعرض له في غيره لان المذاهب عبارة عن طريقة يجري عليها المجتهد في استنباط الاحكام ، وابن المقلد في ذلك ؟ ولو كان له مذهب يذهب اليه في الفهم والاستنباط لما انتسب الى شخص أحد من العلماء فقيل مالكي وشافعي . واني أراني أطلت في هذه المسألة ولم أكن أريد الخوض فيها ولا هذه المجالة بموضع لها ولكن جمع القلم فلنرد مجاحه ونلجأ الى ما كنا فيه



وإذا كانت قراءة احاديث الاحكام حجة على من يعتمد تأويلها واخراجها عما يتبادر الى فهمه من معناها وإضلالا لمن يتلقى هذا التأويل بالقبول ، فهذا لا يتعدى ما اختلفت فيه المذاهب والآراء الفقهية من الاحاديث ، ويستفيد المشتغلون بالحديث من سائر الاحاديث آدابا وحكما وعلوما لا يجدونها في كتب الفقه ولا في غيرها من كتب العلم . وقد كان من تأثير الاشتغال بها أن صار في الهند طائفة كبيرة تعمل بها وبما يتبادر من الكتاب العزيز لا يقدرون دينهم أحدا وانما يستعينون بكلام العلماء على فهم الكتاب والسنة . وهم يسمون أنفسهم أهل الحديث ، ويطلق عليهم عوام الحنفية لفظ « وهابية » وقد يكون فيهم من لم يطلع على شيء من كلام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الذي ينسبونهم اليه . وسيرة هؤلاء الشخصية احسن من سيرة سائر فرق المسلمين المتسمين الى المذاهب ، فهم يجتنبون الفواحش والتكرات والبدع كلها ولا سيما بدع القبور ، فاذا زاروها وقفوا عند حدود السنة المأثورة من الدعاء والاعتبار ، ويحافظون على صلاتهم وغيرها من الفرائض ويصدقون في معاملاتهم الدنيوية وينصحبون وجملة القول ان التعليم الديني كان قد ضعف في الهند كما ضعف في سائر الاقطار ، وقد طفق يحدد قوته ، ويبيد ما فقد من استقلاله ، ويصلح ما فسد من طرقه واساليه ، ويوشك ان يظهر أثر الإصلاح ونتيجته في ( ديوبند ) قبل ظهورهما في الازهر

\*

#### الحالة السياسية في الهند

السياسة فتنة اذا تركها الكاتب والمؤرخ لا تركه ، وانني رحلت الى الهند وأنا أنوي ان أقصر عملي فيها على اختبار حال اخواني المسلمين في الدين والعلم الديني والدنيوي لا احفل بغير ذلك ولا أعنى بالبحث عنه ، ولا سيما السياسة ، ولكن الحكومة الانكليزية هناك جعلتني في موضع الظنة واتهمني بالسياسة فأذكت عليّ العيون والجواسيس فكانوا أتبع لي من ظلي من حيث افطن لهم ومن حيث لا افطن . ومنعت جمعية ندوة العلماء عما كانت تريد من اقامة اقواس الزينة وعمدها امام محطة ( لكهنؤ ) وفي شوارعها لاجلي ، وكادت تمنعها من جملي رئيسا لاحتفالها لولا أن أقنع رئيسها الوالي الانكليزي بأنني رجل علم ودين لا رجل سياسة ، وذكر له ان من رأيي ان الجامعة الاسلامية لا وجود لها ولا ضرر في وجودها على الاستعمار الاوربي ، واستشهد على هذا بجريدة انكليزية نقلت هذا الرأي في خطبة للدكتور مر جليوت الاستاذ في مدرسة اكسفورد الجامعة في انكلترا

## (النازج ٨ م ١٥) مطالبة الوثنيين الحكومة بالحقوق السياسية ٦٢٥

وقد عملت بما نويت فلم أتعمد البحث في السياسة لذاتها وكنت احسن التخلص من بسألني مسائل سياسية فلا أسيء رده ولا اخوض معه كثيرا ولكن جاءني كثير منها غفوا أو نافلة تابعة لمباحث أخرى كبحتي مع بعض الاذكياء المتعلمين في المدارس المالية في الهند وانكلترا وغيرهم عن رأيهم في مستقبل المسلمين مع الوثنيين في الهند، وقد جاء الكثير مما سمعته مطابقا لما كنت أعلمه أو أعتقد استنباطا من الاخبار التي تصل الينا في الجرائد . ولكنني سمعت من الآراء ما لم يكن يخطر لي ببال يعرف اكثر المشتغلين بالسياسة في الاقطار المختلفة ان وثني الهند قد ارتقوا في العلوم العصرية ارتقاء أشعرهم بالحياة القومية ودفهم الى مطالبة الانكليز بحقوقهم في ادارة بلادهم وأحكامها ، وأنهم صاروا يهددون الحكومة باغتيال رجالها ونسف سككها الحديدية ومبانيها الاميرية بالديناميت ، وقد فعلوا ذلك غير مرة ، وهم يحتاجون على الحكومة بأنهم مستعدون لسكل عمل في الحكومة كاستعداد الانكليز وغيرهم أو هم احسن استعدادا ، ويطلبون منها أن تمنحهم مع رجالها في اي القوانين الادارية والقضائية وفي أي العلوم التي يتوقف على اقبالها أي عمل من الاعمال في أي فرع من فروع الحكومة ومصالحها ، فان لم يكونوا أعلم منهم فلا تقبل لهم طلبا . وكذلك يطلبون تجزيتهم في تلك الاعمال فان لم يقوموا بها كما يقوم بها العمال من الانكليز ، واحسن فانهم يهدرونها في حرماتها اياهم أو اعطاهم دون حقهم منها ومم في اقليم بنغاله أرقى منهم في غيره واشد عصبية . وكانت الحكومة قسمت هذا الاقليم الى ولايتين ، وكان من مصلحتها في ذلك ان المسلمين يكثرون في احدى هاتين الولايتين فيكون لها العذر بأن تكثر من عمالهم فيه - وضرلهم معها - فيضعف بذلك قوود الوثنيين ، فما زالوا يلحون في جعله ولاية واحدة كما كان ، ويهددون الحكومة اذا لم تفعل حتى اتخذ ذلك ملك الانكليز غدا لمامه بالهند للاحتفال بتتويجه ، وقد ساء ذلك المسلمين اشد الاستياء وعدوه جينا من الحكومة وخوفا من الوثنيين . ويقال ان أمر الملك بجعل (دهلي) قاعدة الممالك الهندية ومركز حاكمها العام بدلا من (كلكتة) قد قصد به ارضاء المسلمين وتطبيب قلوبهم لانهم كثيرون في دهلي وولايتها ، وكانت عاصمة ملكهم من قبل . وقد التزمت الحكومة للمسلمين حفظ حقوقهم في الوظائف في بنغاله ، وان كانوا الآن ستة في المئة من مجموع أهلها ( كالفيت بالنسبة الى مسلمي مصر ) وكانوا في أحد قسميها السابقين زهاء الثلث .



لم يمنع هذا بعض المسلمين من اظهار السخط الشديد للحكومة والتشديد في انتقادها ولومها في الجرائد وكان الثواب وقار الملك ممن كتب في ذلك كتابة شديدة على أناته ووقاره وصنه ، فاباك بالشبان كالكتاب البليغ صاحب جريدة (زميندار) التي ألفت حديثا في لاهور ، فانه كان شديد المارضة ، قوي المارضة ، حتى أخرج صدر الحكومة فحمله غرامة حملتها عنه الأمة وأظهرت الميل اليه ، والحذب عليه ، وانبرى للرد عليه صديقنا صاحب جريدة (وطن) وهي الوطيس بينهما ، ولم تخل ازدد بينهما من المطاعن الشخصية ، ورأيت عقلاء المسلمين في المدن التي زرتها قبل زيارة لاهور متألين من هذا الخلاف بين الجريدتين ، وتمنون اصلاح ذات بين الكاتبين ، ولا يجدون الى ذلك سبيلا ، وقد وفقني الله تعالى للاصلاح بينهما فان كل واحد منهما قد أكرهني بتحقيق رجائي بعد ان حاول اقناعي بصدوره وكون الحق معه ، فانا اشكر لهما ذلك واسأل الله لهما التوفيق في خدمة امتهم

كان المعروف عندنا بمصر أن حكومة الهند تتألف المسلمين وتساعدهم على الارتقاء لتجعلهم في وجه الوثنيين الذين طفقوا يجاذبونها زمام الحكم في البلاد ، وان المسلمين ضلعمهم مع الحكومة يمتزجون بها على الوثنيين ولا يريدون الاتفاق مع الوثنيين عليها. وقد ظهر لي من كلام كثير من أهل البصرة تفصيل في هذه المسألة ، مجمله أن سياسة الحكومة غامضة فيها فبعض رجالها يظهر الميل الى المسلمين والرغبة في ارتقاءهم ولكن مع الاحتراس في العمل ، وبعضهم يظهر الميل الى مراعاة قوة الوثنيين ، ولا أجل هذا يوجد في المسلمين اناس يرجحون الاتفاق مع الوثنيين وان يكونوا معهم إلبا (١) واحدا على الحكومة ، وأكثرهم يرجحون جانب الحكومة ، ويرجون بالاخلاص لها ان يرتقوا في العلوم والوظائف ، ويرون أن الوثنيين لا ينصفونهم ، ولا يجهلون لهم حظا من الحكم يليق بهم اذا هم ظفروا بما يسعون اليه من الاستقلال. وقد سمعت من بعضهم ان الوثنيين يستميلونهم اليهم ، ويقولون لهم اتاامة واحدة بجحننا وطن واحد ، وهؤلاء الانكليز يحتقرونا جميعا فيجب ان نكون إلبا واحدا عليهم الحكومة الانكليزية بارعة في اقامة ميزان السياسة بين الشعوب والارتفاع من الخلاف بينهم ، ولكنني أظن أن الموارنة الحاضرة بين مساهي الهند ووثنيها لا يطول أمدها ، فاما ان نجتمع هذه الحكومة أمرها في مساعدة المسلمين على الارتقاء الصحيح الذي يساوون به الوثنيين فيكونوا كلهم معها ظاهرا وباطنا ، واما ان تلبهم بالتافه حتى

يستقدون أنها تعبت بهم فيكونوا كلهم مع الوثنيين إلها واحدا ، وحينئذ يتغير وجه السياسة في الهند وإن كانت قوى الانكيز الادارية والسياسية والمالية والالية تكفل لهم طول زمن الاستيلاء التام على تلك الممالك الواسعة مادامت لا تخاف ان تعارضها فيه قوة خارجية ، بل هي تضم قسما كبيرا من ايران الى الهند وبلو خستان وتطمع فيما هو أعظم من ذلك وإلى الله المصير .

## نهضة آسيوية

كتب المستشرق المجري « قامباري » الأستاذ في جامعة « بودابست » ( ١ ) في مجلة القرن التاسع عشر في عدد ابريل ( نيسان ) من هذه السنة بحثاً مسهباً تحت عنوان « المسلمون والبوذون » طعن فيه بالنهضة الآسيوية عموماً وبالحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كتب مقالات ضافية في مجلة القرن التاسع عشر هذه على إثر خلع السلطان عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الحليم وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسم في تقصّد عادات الأتراك وصلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ، ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الاخلاق وسوء التربية ومما قاله عن سعيد باشا الصدر السابق : إنه كالمهلب آية في الاحتيال والخدعة .

وقد كانت عربت جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل مقاله هذا في حينه وعلقت عليه تعليقاً وصفته فيه ذبذبة هذا الرجل الطائر الصيت وذكرت غشه وخداعه وتناقضه وقالت فيه مجلة المقتطف وقتئذ : ان عمل الأستاذ هذا محط بقدر العلم ومخل بشرف العلماء ،

وقالت الافكار في عدد ٦٢٨ الذي تلخص عنه هذه المقدمة وتنبهها بفعل مقالته الآفة الذكرونها - قالت :

« أمانا الآن مثال آخر على رياء ذلك المستشرق وخداعه الرأي العام ، ونعني

« ١ » قامباري هذا كان استاذاً خصوصياً للسلطان السابق وقد أقام في قصر النجم « يادير » زمنا طويلا وكان يطري سياسة السلطان عبد الحميد ويحط من قدر الشعوب العثمانية لما كان ينقده السلطان في مقابل ذلك من الدناير المديدة ولم يكن الاستاذ ليبالى بتضليل الرأي العام الاوربي فيما كان يمدح به دائرة المعارف الفرنسية وغيره فقامباري هذا له معرفة بكثير من البلاد الاسلامية



طعنه الحاضر بالهضة الاسيوية عموماً والحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كان سابقاً يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الاسيويين قائلاً بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين . فما باله الآن يكتب قائلاً « انقطعوا البرعم قبل أن يزهر ويثمر » اهـ

الحق أن أمثال هذا المستشرق في السياسيين والدينيين كثير في أوربة ولكن قل أن يوجد مثله في رجال العلم بمخادعته وثناقضه

على أن ذنب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً الوحيد أمام أوربة السياسية والدينية هو أننا نريد أن نحبي قبحن مؤاخذون بهذا الذنب ولو لم يصل الى حيز الفعل بل قبل أن نفقد سائله ، فالويل لآسية من يوم عصيب إذا لم تهض نهضة المستعبد وتتدارك ما فات من التقصير والافاقها واقعة في حبال أوربة الاستعمارية لا محالة وهذه هي مقالة قامباري وفيها مثال واضح من حب الانسانية وخير البشر !! العبرة لمن يعتبر قال :

### ﴿ المسلمون والبوذون ﴾

المعجم ، وطرابلس الغرب ، وراكش

« ثلاثة مراكز اسلامية هوجمت بوقت واحد . فما هو سبب هذا الهجوم يأتري ؟ أعارض فجائي هو أم ضربة سياسية مدبرة ؟ بالحقيقة ان الصليب لم يضرب الهلال ضربة أشد من هذه الضربة الحاضرة ولم يقتحم خطراً شبيهاً بالخطر الحالي »

« كان الغرب منذ مئات من السنين يحارب الشرق حروباً طبيعية لا مفر منها وصاد الشرق مغلوباً من بدء القرن التاسع عشر وما برح مغلوباً حتى الآن والمسلمون يزيدون جهلاً وفقراً وذلاً مما أطعم بهم الاعداء . ورغمنا من قيام عدد من المفكرين فيهم فان السواد الاعظم عندهم ما زال حتى الآن غارقاً في بحار الجهل والارهاق ومصائباً بداء الفقر المضال مما حمل الناهضين منهم على اليأس فقطعوا الرجاء من الإصلاح وجلسوا بحياه ممزوج بامتصاص وغضب على مجالس الاوربي يتعلمون منه مبادئ العلوم المصرية وهم على جانب عظيم من الذكاء والمهارة . ولكن الامم كالأفراد لانها مجموعة افراد . والفرد لا يتغير فجأة بل عليه أن يطرح الثوب العتيق ويؤهل ذاته لبس ثوب جديد يليق بالهياة الحديثة . والمسلمون عموماً يصعب بل يتعذر عليهم التحول المفجائي لان عليهم اولاً نبذ اعتقادات وعادات قديمة ومن ثم

## (التاريخ ١٥ م ١٠) غزو ايران وطرابلس ومراكش باسم التمدين ٦٢٩

تهمة ذواتهم وتكليف طبائهم لقبول تعاليم جديدة . وأوربة ترى هذه المحاولة من جانب المسلمين منذ مئة سنة وشعوبها تقف متفرجة مسرورة من ذلك النهوض في الامم الشرقية ولكن الحكومات تقف مذعورة منها فتضع العراقيل وتزيد الصعوبات وكلها قول : يا شرق ! ابقى خاملاً جامداً فقيراً الى ما شاء الله

« تقف حكومات أوربة مذعورة تجاه نهضة الشرق هذه فتعد المعدات السرية لحفظها وهي تظاهر بوجوب حفظ الامن في تلك الاماكن الناهضة أو بوجوب تمدينها وحمايتها . والصحيح هو ان أوربة لا يهمها من التمدين ولا من شيء بل همها الوحيد هو ملك الاركان أي : امتلاك واستعمار بلاد جديدة اولاً . وفتح أسواق جديدة لمصنوعاتها ثانياً . ومد نفوذها الادبي وسطوتها السياسية ثالثاً . ولولا تحاسد الدول الاوربية ووقوف بعضها بالمرصاد للبعض الآخر لسكانت آسية في قبضة أوربة منذ مئة سنة » وقد نجح بعض دول أوربة فتحين فرصاً مناسبة وقبض يد من حديد على قليل من تلك الاملاك الآسيوية السائبة فامتلكها أو احتلها أو استعمرها . ولما تهوى البعض الآخر من دول أوربة ورأى ان تلك الغنيمة على وشك الفرار من يده فيها اذا صبر حتى يتحين فرصة قد لا تنجيء مطلقاً قام فوثب بفتة على املاك اسلامية من دون حجة ظاهرة أو عذر مقبول قائلاً بلسان حاله : انكم ايها المستعمرون السابقون التهمتم كثيراً فتركوا لغيركم شيئاً من الفريسة الممدة للاقتسام . هذه هي الاسباب الحقيقية لغزوة العجم وطرابلس الغرب ومراكش ولا صحة لما تتبجح به أوربة قائلة : ان العالم الاسلامي بربري همجي وليس فيه شيء من الامن والنظام وعلينا تخدينه وحفظ الامن فيه

« بيد اننا لسوء الحظ لا نقدر على انكار شيء من هذه الحجة واعني وجود خلل في الامن والنظام ووجود الجهل والتأخر في مراكش كما في العجم وطرابلس الغرب . ففي مراكش اراض خصبة ومعادن كثيرة ولكن سكانها لا يعرفون كيف يستثمرونها ولا خلاف في ان دولة متقدمة مثل فرنسا تعرف كيف تنفع وتنفع من هذه الخيرات الطبيعية الجزيلة في بلاد المغرب . وفي طرابلس الغرب أيضاً كان الجهل والفقر ضاويين اطنابهما ولكن هذا مهما كانت حقيقة واضحة فان الرأي العام لم يبرر عمل ايطالية بغزوها تلك الولاية العثمانية بل أجمع على تقييده فدعا عمل ايطالية قرصنة وخيانة وخرقاً لحرمة المعاهدات الدولية واهتداء على حقوق الامم الضعيفة والمستضعفة



«قد كان بالإمكان إسماع حالة الطرابسين تحت حكم تركية الدستورية الجديدة ولكن من الواضح ان حالة تركية الاقتصادية والسياسية لا تؤهلها لترقية تلك الولاية بالسرعة المطلوبة كما هو المأمول من دولة أوربية مثل ايطالية ( قالت الافكار من هنا بدأ الاستاذ بالتحيز الاعمى الى جانب أوربية ) واذا راجعنا التاريخ نعلم ان حالة أفريقية الشمالية كلها كانت على زمن الرومانيين القدماء أفضل بكثير مما هي اليوم على زمن الحكم الاسلامي فيها . وأينا سرت في شمالي افريقية من مصر شرقاً الى مراکش غرباً ترى الخراب والدمار وسائر نتائج الاهمال والفساد . وعند ذلك لا بد لنا من أن نتساءل قائلين : ألم يحن الوقت للقضاء على قصب العرب وبربريتهم قضاء مبرماً وسريعاً حتى نستريح من عوامل التخريب هذه ؟

« وماذا قول عن العجم ايضاً ؟ كل الاعجام فيها مضى آية في الخدق واللفطة فصاروا في القرون الاخيرة على غاية من الانحطاط والفقر بسبب فساد حكومتهم وجهل حكامهم . وحينما سرت في بلاد فارس ترى الفوضى والفلاقل والثورات . ولا هم للحكام الا مشاركة العصوص وقطاع الطرق بائزاز أموال الناس وازهاق أرواح المباد . وانني لا أزال أرتجف خفقاً من ألم الذكرى التي طبعت في مخيلتي بعد ما سحت في بلاد فارس ورأيت فيها من الفظائع ما تقشعر منه الابدان . وها ان ملكوم خان سفير العجم سابقاً في باريز و ابراهيم بك الفارسي كتب ما يؤيد ما أنا بصدد الآن من فساد الحكم وجهل الرعية وهدم كل مباني المدالة والرقى في تلك الديار الحصينة الواسعة

« أليس من العدل اذن أن تغير أوربية على بلاد مختلة مصلة كهذه ؟ فيجود وجود دولة أوربية في بلاد فارس كاف لوجود الامن والنظام فيها ولجعل اهلها يتنشقون هواء الحرية فينهضون من سباتهم العميق ويزيحون من أمام تقدمهم واسعدهم كل عثرة كالتعصب الديني الذي كان وما برح عندهم من اكبر عوائق التقدم والترقي . وحكومات أوربية العالم هذه الامور صار لها نحواً من مئة سنة تسمى للدخول الى الممالك الاسلامية تدويجاً ونزع استقلالها . وهكذا أصبحت كل البلدان الاسلامية تحت رحمة أوربية ولا أستثني منها الحكومة العثمانية ايضاً لان الامتيازات الاجنبية الموجودة في تركية هي وحدها كافية للدلالة على ان تركية مغلوله الايدي وتحت مطلق تصرف الدول وليس استقلالها إلا اسماً ظاهرياً

« وأمبر الافنان ولئن كان متمتماً الآن بلقب «صاحب الجلالة» ولكنه هو ذاته

أدرى من الغير بأن افكترة لم تدعه يتلذذ بهذا القلب الا من باب الجاملات السطحية التي لا معنى حقيقياً لها على الاطلاق

«درى المسلمون هذه الحقائق فصرع المتورون منهم يرفضون التمدن الاوربي الذي أدخلته اليهم الدول بمجد السيف ويقولون أنهم يؤثرون الاستبداد والظلم والفساد الوطني على التمدن والنظام والعدل الافرنجي. وها ان أفضل المفكرين منهم وخصوصاً الاتراك جهروا بافضلية حكم وطني ولو كان اقبح من حكم عبد الحميد على الحكم الاوربي مهما كان حسناً نافياً . وخطة الاتراك هذه معقولة لانهم وهم عنصر قليل في الامة العثمانية قاموا فنادوا بالجماعة الوطنية ولا يسعهم الا الضرب على وتر الدين الحساس اولا حتى يتقووا بانضمام المسلمين العرب والاكراد اليهم . والعرب الذين حكموا العالم قروناً عديدة باسم الدين الاسلامي يسر عليهم الاقتناع بوجوب تبذ الجماعة الدينية جانباً ما لم يجبرهم أوربة على ذلك الاقتناع بمجد السيف وقابلي المدفع

#### نهضة عامة في كل آسية

«ولما درى عقلاء المسلمين عظم الصعوبات التي امامهم قاموا اخيراً يفتشون على مخرج لهم من ذلك المأزق الضيق الذي وضعهم أوربة فيه . وظهرت بوادر مشروعه عليهم في الآونة الاخيرة باكتساح المعجم وطراباس الغرب وصرا كش ومضايقة حزب تركية الفتاة لدرجة متناهية فالتجأوا الى الجماعة الشرقية الوطنية وهكذا اضطر المسلمون آخرأ الى مصافاة اعدائهم السابقين والى الاتحاد مع ابناء آسية عمومأ فاسين الاحقاد القديمة ونابذين الضغائن السالفة التي كانت السبب الاكبر في تضعف الشرق وضمف الشرقين . وأول مظهر من هذه المظاهر السياسية كان اتحاد المسلمين مع البوذيين في بلاد الهند

« ان الدين الحمدي يقسم الناس الى قسمين : المجوس وأهل الكتاب . فأهل الكتاب يعرفهم النصارى واليهود وهؤلاء لهم حق الحماية والرعاية ضمن الشروط . أما المجوس وعبد الاوثان فليس لهم ذلك الحق مطلقاً ولذلك كان سلاطين المغول المسلمون في الهند يستحلون اموال البوذيين والبراهمة وارواحهم واعراضهم ولم ينتف هذا الامر الا بعد ان احتلت انكلترة الهند وامسكتها اخيراً بمجد السيف . ولذات السبب عينة هجر المعجم فريق كبير من سكانها المجوس القدماء فقطعوا الهند حيث عرفوا باسم پارسي وكانوا اقوى نصير للانكلز في تثبيت قدمهم ببلاد المغول



## ٦٢٢ تعارف الشعوب الآسيوية (المنار ج ٨ م ١٥)

الهندية المسلمة انتقاماً من مسلمي المعجم واني في كل سياحتي ببلاد المعجم وسائر آسيا المسلمة لم أسمع من أتباع محمد سوى ذم الجوس وتحليل قتلهم وتعذيبهم . ولذلك فلا غرابة اذا كان فريق البارسي قد أيد انكسرة في الهند وكان لها عوناً في الحروب ومسلمو القوقاس وتركستان وخيوى والصين وبخارى على ذات العقيدة وهؤلاء كانوا يدعون اليابانيين والصينيين أيضاً مجوساً وعبدة أوثان ويضمرون لهم البغض والاحتقار . وبعد هذه المقدمات ألا يذهل القاري عندما يعلم أن كل أولئك المسلمين يبدون الآن عطفاً على أهل اليابان والصين والهند كافة ويقولون انهم هم وأتباع بوذه وبرمه وكوفوشيوس اخوان ؟ حقاً ان هذا الاتحاد الجديد والانضمام الغريب يقضي بالمعجب المعجب . ولكنه اتحاد حقيقي لا ريب في وجوده . تعرفه حكومات أوربة الآن ويتهامس به وزراءها وراه جدران مجالسهم حاسين له الف حساب أو تدرون ما سبب هذا التفاهم الجديد في أهل آسيا ؟ سببه انتصار اليابان الاخير على روسية

كانت اليابان قد انتصرت سنة ١٨٩٥ على الصين فلم يمرها العالم الاسلامي ولا الآسيوي على روسيا أقل اهتمام . ولكن انتصار اليابان على روسية الاوربية سنة ١٩٠٥ كان له وقع عظيم في نفوسهم استفزهم الى النمرة الوطنية فبدأوا في الهند والصين كما في المعجم وتركبة يتداولون ويقولون فلنبذل كل شقاق داخلي وكل خلاف ديني من بيننا ولنقتد باختنا اليابان والاداستنا أوربة باقدامها واقت استقلاننا ومحت كياتنا . والفضل الاكبر في هذه النهضة الوطنية الآسيوية الجديدة يعود الى المسلمين . فان المسلمين هم الذين بدأوا بإيجادها وأفلقوا رغماً عن الصعوبات الجيوجرافية وعن المسافات الشاسعة التي تفصل بينهم وبين املاك آسية المشتتة البعيدة . واني لا أنسى كيف كانت تتغنى الصحف التركية والعربية والفارسية والهندية المسلمة بمدح طوغو ونودجي وكوركي وغيرهم من قواد اليابان الذين انتصروا على روسية . ولا أنسى أيضاً ان بعثة اسلامية سافرت الى اليابان للتبشير بدين محمد

واليابانيون المشهورون بالحنكة والدهاء حاولوا أن يربحوا من هذه الحركة الاسلامية نحوهم ولكن السلطان عبد الحميد كان أشد حنكة واكثر دهاء منهم فلم يقع ولا بفخ من الفتاخ السياسية العديدة التي نصبها ساسة اليابان له ولما غرقت البارجة العثمانية (ارطغرل) بكل من كان عليها من البحارة العثمانيين على شواطئ اليابان منذ سنوات قليلة أبدت اليابان مشاركة حاسات وروح أخوة نحو تركية جعل قصر يلدز يومئذ

أن يشعر بوجود جامعة أوصلة تربط تركية باليابان. وأوربة تعرف جيداً أن مخبرات كثيرة جرت بين طوكيو والاسنانة والارجح انها لا تزال جارية الى الآن بطرق سرية وغير رسمية . وانني عالم بسفر عدد كبير من شيوخ المسلمين الى الصين واليابان ومعهم مبالغ طائلة من المال ليصرفوا بسخاء على اخوانهم المسلمين في أقصى أقطار الشرق ويحملوهم على التأخي مع جيرانهم البوذيين وعلى اتخاذ الاسنانة مقر الخليفة أمير المؤمنين كعبة لهم وملجأ اليهم

« ومن جملة سياحهم الشيخ سليمان شكوي اقندي من علماء الاناضول الذي ماد سنة ١٩٠٧ من سياحته في الهند والصين واليابان فنشر كتاباً في بطرسبورج سماه « سياحتي السكري » ضمنه الطعن بالحكومة الانكليزية نظراً لما رآه من صرامتها وعجزتها التي لا تطاق وقال ان حكومة الصين أفضل وأكثر اعتدالاً وتسامحاً من حكم المستعمرين الانكليز ونصح الصينيين بالانضمام الى المسلمين حتى يرفعوا عنهم يبر الافرنج الثقيل وقد ظهرت بوادر الاتحاد والتفاهم بين المسلمين وأهل الصين وكانت أسبابه الجوهرية قورهم المتبادل من شدة وطأة الحكم الاجنبي والسيطرة الاوربية الثقيلة عليهم . وبعد الحرب الروسية اليابانية صار الفريقان يجهران بهذا الاتحاد وقد كانا أولاً يتهامسان به سرّاً فيما بينهما

« ولما نشبت الثورات الاخيرة في الصين وفي شرقي تركستان ومقاطعة يونان كان الصينيون يحسنون معاملة المسلمين لدرجة قصوى . وفي ثورة البوكرس الاخيرة التي أقلقت بال أوربة قاطبة كان للمسلمين الصينيين اليد السكري في الهجوم على الافرنج والاسبقية في اظهار بغضهم نحو كل ما هو أفرنجي . وقد تمادت حكومة الصين في مناصرتها للمسلمين حتى انها لم تقتصر على تأييدهم ومساعدتهم فقط بل انها أصدرت لهم جريدة في مدينة لايبلي لا تزال تطبع الى اليوم باللغة التركية وخطتها حث المسلمين الصينيين على الاشتراك مع اخوانهم في الوطن سائر الصينيين عموماً ضد الافرنج . وقد قرأت تلك الجريدة آخرأ وهالك مثالا على ما تنشره .

( ان أوربة قد أصبحت معتدية وكثيرة التطلب منا . وطلبها مقرون بوقاحة وبفطرسة . وقصدها الوحيد هو نزع استقلالنا وقتل حريتنا . فعلينا بالاتحاد والافرنج . وعلينا باقتباس العلوم الحديثة حتى نتقوى ونثري ونستفي عن مصنوعات الافرنج كلها . اهـ )



وقد اتضح آخراً ان المسلمين هرعوا في الصين الى نصرة زعماء الحرية في امبراطورية ابن السماء فكانوا من أقوى العاملين على إلغاء الحكم الامبراطوري وطرد عائلة المانشو الماسكة وانشاء حكم جمهوري دستوري يثمر بالحرية والمساواة ولذلك فلا عجب اذا قال زعيم النهضة الصينية الجديدة الدكتور «سن يان صن» في حديث صحافي له في تمر مرسيية ما يأتي :-

« ان الصين سوف لا تنسى مافعله اخواتنا المسلمون الصينيون من التأييد والمساعدة في سبيل إعادة الامن والحرية الى بلادنا . حقا ان أوربة تخطيء نحو الاسلام فتحسب ان الجامعة الاسلامية كالخطر الاصفر كابوسا قهيبا على صدرها . اهـ ولم تنفرد الصين بالائتلاف مع المسلمين بل جارها بذلك القسم الاكبر من أهل الهند الانكليزية وأعني البوذيين . وهذا التفاهم والتقرب بين هاتين العناصر الشرقية يجب أن تعرفه أوربة فتعد له العدة وتحسب له الحساب . أما من حيث خطر الجامعة الاسلامية فهو قليل على ما أرجح ولكن خطر الجامعة الاسيوية أو الجامعة الشرقية فهو كبير ووجود تلك الجامعة أمر راهن لا ريب فيه

» صرفت سنوات عديدة في قصر يلدز واشرفت عن كتب على حركات عبد الحميد واعوانه فعلت كل مساعيهم التي بذلوها في سبيل انشاء الجامعة الاسلامية ، وقرأت بعض التقارير التي قدمها بشأنها رسل عبد الحميد الى سائر أنحاء العالم الاسلامي . فتحققت ان انشاء جامعة تجمع كل مسلمي الارض تحت لواء واحد وغاية واحدة هو ضرب من الحال . وما التخوف الذي تبديه أوربة من هذه الجامعة سوى نخوف وهمي . وكيف يعقل ان جميع المسلمين من سائر الاجناس والاماكن يحدون على شيء واحد وهم منشغون متباعضون متحاسدون ؟ نعم انه يعقل عندنا انشاء جامعة صقلية في البلقان تحت حماية روسية كما يعقل اتحاد ايطالية ومانية والى كن لا يعقل قط اتحاد مسلمي مرا كشي بمسلمي السجهم ولا يتم اتفاق أتباع محمد في الافغان مع أتباعه في تركية وقس على ذلك استحالة اتحاد مسلمي افريقية مع مسلمي آسيا وهلم جرا

» ان مسلمي الهند وعددهم ٦٠ مليوناً لهم تأثير محسوس عند ما ينصب الميزان فيرجحون الكفة التي يخالزون اليها ، ولكن سوء حكم الموقول المسلمين في الهند سابقاً مع وفرة عدد الهندود غير المسلمين يكفل لنا بحق النفوذ الحمدي هناك وخصوصاً اذا أحسننا سياسة المتقي مليوناً من الهندوس والبراهمة والبارمي والبوذيين ، وفضلاً عن ذلك فان الحكم الانكليزي العادل في الهند جعل مسلميها مسروري الخطا

مرتاحي البال فصار يصعب عليهم مقاومة الانكليز ومعاداتهم وأما المسلمون الموجودون تحت حكم افرنجي غير الانكليز فهم قلال العدد فقراء ضفاف لا يحسب لهم حساب « يد اني أوجه أنظار أوربة الى شذوذ واحد فقط وهو حالة أتباع محمد في القطر المصري ، فان النهضة المصرية الاخيرة وتكاثر عدد المسلمين في أفريقية تكثرأ متواصلاً مستمراً مما يجعل المسألة الاسلامية في تلك القارة شديدة الخطر وخصوصاً لان القاهرة أصبحت مبعث العلوم والآداب العريضة ، وها ان سماعيل غصبرنسكي وهو من أقوى المفكرين المتشورين بينهم لم يقدر على جعل الاستانة الطلية مركزاً للمؤتمر الاسلامي العام الذي سعى في انشائه منذ بضع سنين بل جعل القاهرة ذلك المركز المرغوب ، نعم ان تركية قالت يومئذ انها لا تسمح للمؤتمرين بالاجتماع في عاصمتها حذراً من « ظنون سياسية » واسكن اسماعيل وأعوانه صرحوا بحذف كل مادة ترمي الى غرض سياسي من لأئحة مؤتمرهم وجعلوا تلك اللائحة مقتصرة على الابحاث التعليمية والدينية فقط

« والخلاصة أن أوربة مدركة سرفوقها على المسلمين فهي لا تحسب لجامعتهم حساباً . ولو كان اتباع محمد يتفقون حقيقة لو اجتمعوا للبحث والمداولة لكانوا اتفقوا منذ زمن طويل في مكة والمدينة حيث نجمهم فريضة الحج سنوياً بمئات الالوف ومن سائر الاقطار والاحناس والالسنه والعناصر وحيث يسمعون الآلة يعطونهم قائلين لهم: « انما المؤمنون أخوة » وعندي ان على المسلمين نبذ هذه الفكرة أي فكرة الجامعة المذهبية لانها لا يمكن ان تحقق كما انها لم تحقق قط عند الامم المسيحية كما ينبئنا التاريخ وافضل نصيحة أقدمها الى المسلمين هي وجوب اقتباسهم العلوم الحديثة حتى تتطور اذهانهم وتزيد ثروتهم وتحسن صناعتهم فيصيروا قادرين اذ ذاك على مقاومة أوربة عندما تقوى الدول مهاجمتهم واكتساح بلادهم عنوة واقتداراً . ولكن المسلمين لم يفعلوا ذلك الآن بل تراهم حتى اليوم يفتشرون التعاليم الدينية لاجل مقاومة التعاليم الزمنية ومحاربة العلوم المصرية . ولا انكر ان الحماس الديني في العالم الاسلامي في الوقت الحاضر قد بلغ أشده . وانك اذا زرت اقصى مدن آسية واشرفت على حالة المسلمين فيها ترى الجرائد التركية والفارسية في بيت كل منهم وترى الاعانات المالية ترسل تباعاً من الآستانة والقاهرة وقازان وبومباي الى اخوانهم الفقراء في انهي سيبرية والصين !! وامير بخارى الحالي المير حلیم الذي درس في أحسن جامعة روسية لم يقو على ادخال العلوم المصرية الى بلاده لان الصحافة الدينية في بلاده



## ٦٣٦ تحريض أوربة على خنق الجامعة الآسيوية الموهومة ( المار ج ٨م ١٥ )

قاومته وأهمته بالكفر والزندقة وتمثلت « الافكار » بقول الشاعر

قالشر كل الشر ما بين العمام والقلائس

ولما نشبت الحرب العثمانية الإيطالية الأخيرة صرت ترى الاعانات المالية ترد متوالية الى الآستانة من التتر والتركان والافغان والهنود والقوقاسيين والمرب وسائر الجنسيات التي دخل اليها الاسلام . واهتمام الصحافة المسلمة قاطبة بهذه الحرب اشد بكثير من اهتمامها بالحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ . ولما قابلت مؤخراً بين مجموع التبرعات التي أرسلها اتباع محمد في الحرب الروسية العثمانية مع مجموعها الاخير في الحرب الحاضرة اعترفتني دهشة وذهول لاني وجدت الفرق بين المجموعتين جسيماً جداً . وهذا يعني وجود نهضة اسلامية كبيرة لا يمكن ايّاها انكارها او التقليل من اهميتها

« وهذه النهضة ولئن قلت بعدم الاعتداد بها من الوجهة الدينية لكنني اكرر التحذير من عواقبها من الوجهة الوطنية . اي ان المسلمين في الهند بعد اتحادهم الديني عقدوا اتحاداً آخر وطنياً مع البوذيين وهم يحاولون الآن الائتلاف والتفاهم مع البراهمة . وكلما زادت غطرسة الافرنجيين عندهم وكثرت مطالبه منهم كلما زادت نار بغضهم له اشتعالا . ويؤادر الاتحاد ضد الحكم الاجنبي عندهم قد ظهرت في حوادث عديدة . فالصين التي كانت تحارب مسلمي مقاطعة يونان عندها صارت اليوم تصدر لهم جريدة تركية على نفقة خزانة الحكومة ، والصين التي كانت تنكره ذكر محمد اصبحت اليوم تبني الجوامع وترمم الزوايا من مال الخزانة ارضاء لربعيتها المسلمة ، وهذه صارت نجمبر علناً بكره النصارى وخصوصاً الافرنج منهم ، وبالاختصار أقول ان كل الجنسيات والاديان في آسية قد اتفقت آخرأ ضد عدو واحد هو أوربة - اي ان الشرق ناهض وعلى القرب ان يستعد لمقابلته في ساحة المراك ، وامام أوربة اليوم مسألة هامة هي هذه : -

أليس من الحكمة ان تدبر ضربة قوية قاضية نحمد اقداس هذه الحركة الآسيوية الحديثة وتقطع البرعم قبل ان يزهر ويثمر ، أم التحرش المستمر والتملك المتواصل بفترات متقطعة مما يكفل لنا خنق هذا الطفل وهو في مهده

أما ربي انا فهو : « اقطفوا البرعم قبل ان يزهر فيثمر » قالت الافكار ( هذا مطابق لاقوله الرب : « اخنقوا الطفل في مهده » )

## الشعر المصري

### ﴿ زفير الفقير ﴾

أرقت وما قلبي بإسماء يكلف      ولا مدهمي من حرقة البين يذرف  
ولا شافني واد من الجزع مؤثق      لمعري ولا ظل من القاع مورف  
شجنتني أعاجيب الحياة فأنها      أوابد للمقدور ليست تعرف  
يكل ضياء الفكر عنها كأنها      على لبسها قطع من الليل مسدف  
رأيت لو البأساء في الجو ترتقي      لشق على بدر الدجى فيه موقف  
ولو ترتقي يوماً بتسع الفضاء      لأضحت خريق الريح في القيد ترسف

\*\*\*

رأيت سليل الفقر يعمل في الترى      مكباً على محرائه يتلهف  
يخذ (١) ادبم الارض خدأ كأنه      له قبل القبراء ثار تخلف  
كأنني به نادته للحرب فاعتدى      يكر عليها بالحديد وبمطف  
كأنني به اذ فرق الترب والحصى      يفتش هل في باطن الارض منصف  
كأنني به اذ خط في الارض قبره      بهم على جثائه ثم يصدف (٢)  
به آية الجهم الذي ليس ناهضاً      به بشر غص البنان متهف  
جبين بمرفض الصيب (٣) مضجع      وشعر بملتص (٤) الثبار مغلف  
وجيد خفوق الاخدعين (٥) كأننا      تينت من اوداجه (٦) الدم ينطف  
رثيت لمكروب سحابة يومه      اذا فر منه معطف حاج معطف  
اذا زلزلته مرمعة الخطو اوشكت      اضالعه في زوره تنصف  
كأن أرتجاج الصدر قد وتينه (٧)      فلم يبق الا نشفة تنصرف (٨)

(٥) للتأنيب المعروف الاعمى نسب أرسلان (١) يشق (٢) يمتنع (٣) المرق والمضجع  
المطبخ (٤) الملتص المتقارب الاجزاء (٥) الاخدعين عرق في صنعته العنق والحنوق المضطرب  
(٦) يقصد الودجين وهما عرقان في العنق ينتفخان عند الغضب وينطف يسيل قليلاً قليلاً  
(٧) الوتين عرق لا صوتاً يملك اذا انتظم مات صاحبه (٨) النشفة يفتح النون قواقة خفية عند  
الموت يحذف



كَانَ أَرِزَ الْجُوفِ عِنْدَ وَجِيهِهِ حَسْبِيسَ هَشِيمٍ وَالنَّدَى يَتَوَكَّفُ (١)  
تَشَقُّقٌ عَنْهُ الثُّوبُ قَالِيجٌ قَدْ غَدَّتْ تَصَافِحُ مِنْهُ جِلْدُهُ حِينَ تَعَصَفُ  
وَأَثَبَتْ وَقَعَ الشَّمْسُ فِي أَمِّ رَأْسِهِ نَبَالًا فَرَّاشَ الْعَظَمِ مِنْهَا مَنَقَفُ (٢)  
تَبْطُنُ مَنُورُ الْغُبَارِ جَفُونُهُ فَضْرَجٌ مِنْهَا مَقْلَةٌ تَحْصَفُ (٣)  
كَانَ حِمَاةَ الشُّوكِ فِي ذَيْلِ بَرْدِهِ طَرَّازُ حَوَاهِ الْعَبْقَرِيِّ الْمَقُوفِ (٤)  
يَعِدُ إِلَى الْجِبَارِ كَفًّا تَكْدَحْتُ (٥) أَنَامِلُهَا وَاللَّهُ بِالْعَبْدِ أَرَأْفُ

\*\*\*

وَلَا تَقْضِ الْيَوْمَ إِلَّا أَقْلَهُ تَرَاجَعُ نَحْوَ الْبَيْتِ فِي السَّيْرِ يَدْلَفُ  
إِذَا مَدَّ عِنْدَ الْمَشْيِ رِجْلًا أَمَامَهُ تَوَهَّمَتْ عَنْهَا أَحْتَهَا تَتَوَقَّفُ  
يَسَاقُطُ نَثْرُ الطَّيْنِ عَنْهُ إِذَا مَشَى كَمَا فَضَّ خَمَّ الدَّنِّ سَكْرَانٌ مَغْنَفُ (٦)  
إِذَا صَادَقَتْهُ « الْمُرْكَبَاتُ » وَفَوْقَهَا مِنْ الرِّكَبِ هَيْئَةُ الْقَوَامِ وَاهِيفُ (٧)  
رَمَتْهُ الْعُنَاقُ السَّابِحَاتُ يَتَفَلَّهَا وَصَرَّتْ كَمَا مَرَّ النِّعَامُ الْمَزْفُزَفُ (٨)

\*\*\*

وَلَا أَتَى مَأْوَاهُ خَفَتْ عِيَالُهُ إِلَيْهِ كَأَرَامٍ عَلَى الشَّيْخِ تَعَكَّفُ (٩)  
يَلَاقُونَهُ صُورَ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسَى فَيَرْنُو إِلَيْهِمْ سَاعَةً لَيْسَ يَطْرَفُ (١٠)  
تَمَانِي بَنِيَاتٍ كَأَفْرَاحٍ وَكُنَّةٍ وَفِي الْمَهْدِ مَنُوكُ التَّجَالِيدِ يَهْتَفُ (١١)  
وَحَاشَعَةُ الْإِلْحَاطِ رُوعَ قَلْبِهَا زَمَانٌ يَكْبُ النِّيرَاتُ وَيَكْشَفُ  
وَمَا عَدَمْتُ أُمَّ الْبَنِينَ وَسَامَةً وَلَكِنْ مَسَّ الضَّرْلُ الْحَسَنَ مَتَلَفُ (١٢)  
قَرَّتْ زَوْجَهَا مِمَّا تَسْنَى وَانَهُ حَثَالَةٌ زَيْتٍ وَالرَّغِيفُ الْمَقْفَقُ (١٣)

(١) الأريز الصوت والوجيب الخفقان والحسبيس الصوت الخفي الضميف ويتوكف يتقاطر  
(٢) فراش الدماغ عظام رفيعة تبلغر التفحيف ومنقف مشقق (٣) خرج صبغ بالحمرة  
وتحسف الجلد تقشر (٤) العبقرى ثوب متأنق في صنته والمنوف المخطط على الطول  
أبيض وأهمر (٥) تكدحت تكدشت (٦) المعنف الآخذ بشدة (٧) يقصد الخففات أو المجلات  
وهي ما يسمى بالربيات وأحدثها عربة أو عربية (عامي) (٨) التخل بضم التاء البصاق والزبد زفرف  
الطائر رى بنفسه وبسط جناحيه والرجل جرى شديداً (٩) العيال من تازم الرجل نفقتهم والأرام  
جهر الريم وهو الظبي الخالص البياض والشيع نبت ترعى المواشي طيب الرائحة (١٠) صور الرقب  
ماتلوها والاسى الحزن ويرنو يديم النظر وطرّف بصره أطبق أحذفنيه على الآخر (١١) الكنة  
عش الطائر والمنهوك المهرول والتجاليده الجسم ويهتف بصوت من هتف الحمّامة وهو صوتها (١٢) الوسامة  
الحسن والضر سوء الحال (١٣) أصل القري ما يقدم للضيف من الطعام وحثالة الزيت تقاء  
والمققف يهبط به اليابس

بمخى خلاه الفرش إلا عفاشة  
ومدت له بعد الناس حشية  
توسد ثم ارتاع من بعد هجمة  
وقد زاد ضف النور في البيت وحشة  
إذا ضربته الريح لم يدر ربه  
بنا النوم عن عينه حين نبت  
رأى نفسه وهن الخصاصة والأذى  
وان وثاق الذل في الزند محكم  
إذا استنجد الآمال عند اكتابه  
بلاه لمري لا يطاق وترحة (٩)

تمج اضاميم البعوض وتقذف (١)  
بها جبل عال وغور وقتف (٢)  
لصوت الحيا ينهل والرعد يقصف  
كان به طيف (٣) الشقاء يطوف  
به الريح تمكو أوبه الجن تمزف (٤)  
وساوسه والهيم في الليل يخشف (٥)  
وان الفواشي عنه لا تسكشف (٦)  
وان خناق الغم في النحر محصف (٧)  
تبدى له ستر من القار مفد (٨)  
يكل جميل العبر عنها ويصف

\*\*\*

وصفت لك الضراء يا صاحب الفنى  
هي الفقر ما أدراك ما الفقر انما  
حياة بلا أنس وعيش بلا رضى  
بكيتك يا خلو اليدين بادمي  
يروح كثير المال يسحب ذيله  
الست الذي شاد الحصون بهزمه  
وأجرى سفين البحر في اللج ينثني  
وقد ملا الأنبار للخلق ميرة  
بلى ان من هان العسير بكده  
أخو فاقه لم يدخل الطيب رأسه

وهل تعرف الضراء من حيث توصف  
لهة (١٠) الردى منه أخف وألطف  
فلا الرغد ميسور ولا العبر ينزف  
فانت صريع الثائبات المذنف (١١)  
« وانت المعنى يا فقير المسكف »  
وناط نجاد السيف للحرب يزحف (١٢)  
ومشى قطار النار في اليد يهذف (١٣)  
وحاك لهم موشية تتنصف (١٤)  
على الأرض مقتول الشوي متعشف (١٥)  
ولا من كفيه القضيبي المنصف

\*\*\*

(١) المفنى يريد به المنزل والمناشة يريد بها ردى المتاع وتمج تلافظ وتلقى والاضاميم الجماعات  
واصله للخيال (٢) الحشية الفراش المحتو والنور القمر ويريد المنخفض والنفذ مهواة بين جبلين  
(٣) الطيف الخيال (٤) تمكو تصفر وتمزف تصوت (٥) يريد اشتداه من خشف البرد  
اشتد (٦) الخصاصة الحلة والفواشي الدواهي والحلة الحاجة والفقر (٧) الحفاق ما يخنق به والمحصف  
المحكم القتل (٨) القار الزفت والمفد المظلم من أغد في الليل سدوله (٩) الترح الحزن  
(١٠) لهة الردى شدة الموت (١١) ذف على الجريح أجهز عليه (١٢) ناط علق ونجاد  
السيف جماله (١٣) يسرع « ١٤ » تنى « ١٥ » الجلة أو جلدة الرأس والمتنصف المحتوشن



أفي الحق أن يشقى الفقير بهيشه  
وان يدفق المثرى بأعقاب بطنة  
أما في كبود المالمين هوادة (٢)  
وهل لم يكن بين الأنام قرابة  
أرى المرء لا يأسو جراحة مملق  
أراه اذ ما فهم الرغد جسمه  
وذو المال في شر العواية يسرف  
غداة خفيف الحاذ بالجوع يدفق (١)  
ولا رحمة عند الشدائد تعطف  
يمت (٣) بها منهم عديم ومترف  
ولو هن فوديه التصيح المنفق (٤)  
غدا قلبه يقسو لديه ويهلف (٥)

\*\*\*

اليكم بني غبراء تدمي عيونهم  
يمدون نحو المحسنين أكفهم  
سألت غزير المال حين يفوتهم  
الا انما الحسنى اليهم فريضة  
فان طلبوا الانصاف قيل سماجة  
عليكم بكشف الضر عنهم فانما  
فلا ترهقوهم بالشقاوة والطوى  
فان لم ينالوا بالهوادة حقهم  
ولا تهملوا حسن الخطاب ولينه  
لكم عبرة في الغرب من كل فتنة  
فلو كانت عيش للمفالس طيب  
وليس لهم الا المياسير مسفة  
وهل يستوي المكفي والمتكفف  
من الرمل تمثوأم من البحر تعرف  
وفي ذاك الآيات لا تتحرف  
ومن لك بالظالم لا يتنصف (٦)  
أخو الضريمسي ضارياً حين يهحف (٧)  
فيذر منهم بادر لا يكفف (٨)  
ينالوه يوماً والصوارم ترعف (٩)  
فان الخطاب العذب نعم المتقف (١٠)  
تهز الجبال الراسيات وتخسف  
لما قام منهم قائم متطرف  
نسب أرسلان

«١» يدفق بمرض والبطنة الامتلاء الشديد من الاكل وخفيف الحاذ كناية عن الفقر لا يملك شيئاً والحاذ الظهر «٢» الهوادة اللين والرقى «٣» يمت يتوسل «٤» المملق من اتفق ماله حق افتقر والفودان ناحيتا الرأس «٥» رغد الميش طيبه وسمته ولف الرجل تمدح بما ليس عنده وجاوز قدر الطرف «٦» تنصف طلب المعروف «٧» الضاري المجترى ويهحف بجوع «٨» ترهقوهم نكلوهم «٩» تقطر دماً «١٠» القوم